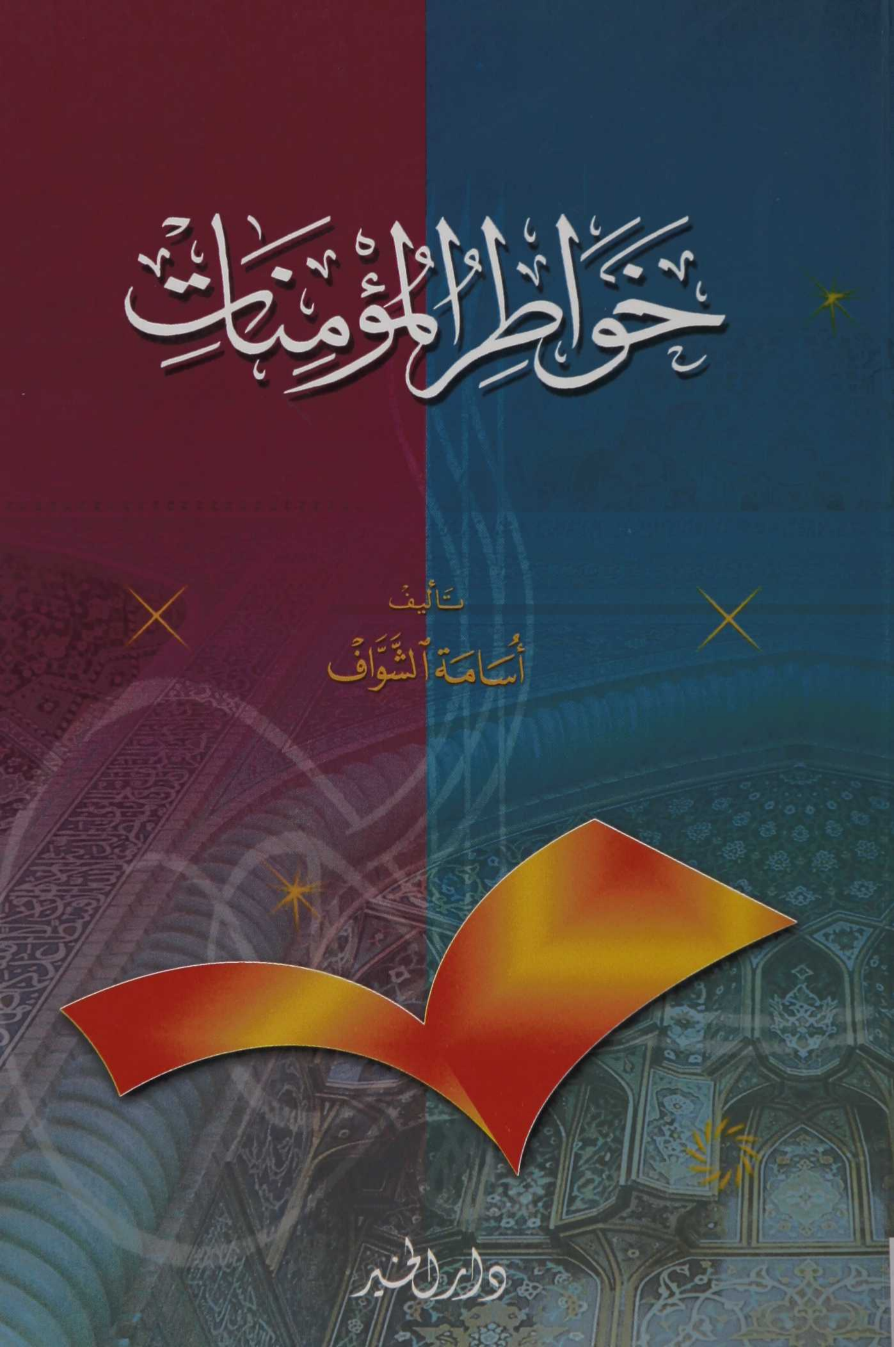
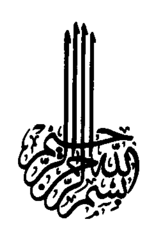


خواطر المؤمنات
تأليف
أسامة الشوّاف
دار الخير


خواطر المؤمنات



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م



بيروت - قريطم - جنوب سيار الدرك - بناء الشامي

هاتف: ٨١٠٥٧١ - تلفاكس: ٨٦٥٦٩٧

ص.ب: ١١٣/٥٦٣٠

دمشق - حلبوني - جادة الشيخ تاج

هاتف المكتب: ٢٢٤٥٨٢٢ - تلفاكس: ٢٢٢٢٦٩٤

المنزل: ٥٧٥٩٧٦٥ - ص.ب: ١٣٤٩٢

دار الخير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت



تأليف
أسامة الشوّاف

دار الخير

بسمِ الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف المخلوقين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين، وبعد:

العفاف ليس هبة تمن بها السماء على الأرض، بل هي مسؤولية مشتركة تشترك في تحقيقها التشريعات الإلهية، والتجارب التربوية، وجهاد النفس ورقابة الضمير عند الرجل والمرأة على حد سواء.

لقد حقق الإسلام أيام مجده مجتمع العفاف، عندما عرف كل من الرجل والمرأة واجبهما في هذا المجتمع، وقاما به على أكمل وجه.
إلا أن الله خصّ المرأة بالمكانة الرفيعة في هذا المجتمع عندما حباها بمشاعر وعواطف فياضة، تمنح من خلالها زوجها وأولادها السعادة المرجوة في العش الزوجي.
فالمرأة هي الدعامة الثانية في المجتمع بعد الزوج، بصلاحها وتقواها تصلح الأسرة وصلاح الأسرة يؤدي إلى صلاح المجتمع.

ومن هذا المنطلق مضينا في الحديث عن بعض الموضوعات التي تدور حول المرأة وواقعها الذي يوشك أن ينهار بسبب ما نشاهده اليوم من المفاتن التي تثيرها المرأة على مسرح الحياة، وهي لا تأبه لرقابة الله عز وجل، فالمرأة جوهرة مكنونة لا تظهر قيمتها الحقيقية إلا بمقدار

تمسكها بدينها وعفافها وتقواها، وإن لم تكن كذلك كانت معرضة لذئاب الحياة الفتاكة التي تترصد لكل شاردة ضالة.

لقد تعمدت في هذا الكتاب أن أسرد مكانة المرأة بين الشريعة والحياة فتحدثت في البداية عن البيت النبوي لأن رسول الله ﷺ هو القدوة المثلى، ثم تحدثت عن الزواج الإسلامي وأهم أسسه منتقلاً إلى عرض سريع لواقع النساء اليوم وبعض ما يتعرضن له، ثم عرضت نماذج وصور من حياة بعض النساء اللواتي تخرجن من مدرسة رسول الله ﷺ فكنَّ بحق مشاعل نور تضيء دروب من أتى بعدهن ومسجدات لأروع وأسمى قيم عرفتها البشرية.

وقد ذكرت فيما بعد باقة من الأخلاق والآداب والقيم الإنسانية لعلها تسهم في إصلاح نفوس حائرة عند هذا الجيل المضطرب. فرب كلمة أو قول مأثور أومثل يفعل في النفس البشرية الأفاعيل، ويحقق ما يعجز عنه كثير من الكتب.

وفي ختام الكتاب عرضت جملة من الفتاوىٰ على طريقة السؤال والجواب لعلها تنفع كثيراً من المؤمنين.

وبعد:

أرجو من الله أن يجد القارىء في هذا الكتاب ما يكون سبيلاً للحفاظ علىٰ ثوب الإسلام الأبيض وطريقاً لبناء مجتمع يسوده العفاف كما رفرف العفاف علىٰ مجتمع الإسلام الأول وأسأل الله التوفيق وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

المؤلف.

حياة الرسول ﷺ الزوجية

الرسول مع زوجاته

تزوّج الرسول ﷺ خديجة بنت خُوَيْلِدْ رضي الله عنها وأمضى معها خمسةً وعشرين عاماً، منفرداً بها، لم يتزوج عليها، حتى ماتت، وحزن عليها حزناً شديداً، وبرّها، بل وبَرّ صديقاتها، اللآئي كنّ يؤنسنها، فسكب لهنّ ﷺ الطعام لترّحمن عليها ووفاء لها.

وبعد أن بلغ الخمسين عاماً هاجر إلى المدينة المنورة لإقامة دولة الإسلام الأولى، فكان لكل زواج قصة ومعنى وسبب، لأَنه رسول يُوحى إليه من رب العالمين، فهو قدوة الأمة ومعلِّمها الأَول وحامل رسالةٍ سماوية وشرعٍ مُتكامل الجوانب:

١ـ ففي الاقتصاد والمال مثلاً: ركن الزكاة والفيء والخراج وبيت المال والإرث والقسمة.. وغيرها.

٢ـ وفي السياسة: مُراسلة القادة، وتعيين الولاة، وإرسال الوفود، واختيار الدول الأَكثر تخطيطاً وتركيزاً، لتمكين دولته الجديدة.

٣ـ وفي الأمور العسكرية: تجهيز الجيوش، والقيام بالغزوات، وبعث السرايا.

٤ـ وفي الأمور الاجتماعية: رسم لهم طريق الحياة السعيدة، وعلّمهم حسن الأَدب، والتآلف في المأكل والمشرب والنوم، وإماطة الأَذى عن الطريق، ومعاملة الجار، وتفقد الأَرحام.. وأمور كثيرة.

لم يترك الإسلام أي أمر من أمور الحياة، إلاّ وقد وجّهنا إليه، بالطريق الصحيح السليم، حتى أن آخر ما يشغل عقل العالم، وهو مرض نقص المناعة (الإيدز) دلّنا القرآن الكريم على دوائه وعلاجه منذ أربعة عشر قرناً، وهو تحريم اللواط والامتناع عن الأساليب الشاذّة في الاتصال الجنسي، فنظّم عملية الزواج محافظةً على كرامة الأسرة وقدسيتها.

إن آية واحدة في كتاب الله تكفي أن تُسيّر العالم إلى بر الأمَان والسلام، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقد يقول البعض: لماذا تزوج النبي ﷺ بهؤلاء النساء كلهن؟ ويبررون ذلك أن الدافع الجنسي هو الذي دفعه إلى تعدد الزوجات.

ويمكننا أن نفند هذا الادعاء بما يلي:

١ـ كانت زيجات الرسول ﷺ بتوجيه ربّاني عظيم ظهرت فيها حكمة الله وإرادته العليمة إن كان يتلقى التعاليم عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام، فتزوج كُلاً من اليهودية والنصرانية لغاية، وبنت عدو الإسلام اللدود في وقته أبي سُفيان، وبنت صاحبه أبي بكر، والخليفة عمر رضي الله عنهما، وزوّج بناته لعثمان وعلي رضي الله عنهما، وتزوج زينب ليعلِّمنا حُكماً شرعياً لا يعلم كامل مداه إلاّ الله سبحانه وتعالى.

٢ـ لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام مزواجاً بالمعنى الذي يفهمه أعداء الإسلام، والدليل على ذلك: أن الرسول ﷺ كان يقترع بين نسائه، فكل يوم يبيت عند إحداهن، إلاّ أن (سودة) رضي الله عنها أعطت ليلتها لعائشة، وكذلك كان يقترع بين نسائه في السفر، فلا يأخذ إلاّ واحدة.

٣ـ تشير السيرة النبوية إلى أن الرسول ﷺ كان يقضي أكثر الليل مع ربه، يتلو القرآن ويُصلي حتى تدمى قدماه.

٤ـ كانت الفترة التي تزوّج فيها رسول الله ﷺ كل نسائه فترة حروب وغزوات وفتوحات، وقد قاد بنفسه أكثر من خمس وعشرين غزوة، وأرسل أكثر من ثلاثين سريّة في أقل من اثني عشر عاماً، فمتى كان لقاؤه مع نسائه؟

٥ـ مع كل ما ذكرت كان النبي ﷺ يتلقى من ربه نزول الآيات القرآنية ليحفظها، ويُبلّغها، ويشرحها لصحابته وخاصة في فترة المدينة المنوّرة، حيث كان أكثرها آيات أحكام ومعاملات.

٦ـ أين نحن من خلق وصبر ورحمة الرسول ﷺ بزوجاته، فربه يقول له:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

وغيرها من الصفات التي وصفه ربه بها، وهو ﷺ من الذين أبعدَ الله عنهم كيد الشيطان، وليس للشيطان مرتع في قلبه بعد عملية شق الصدر الثابتة في الصحاح.

أين نحن من رسول الله صلوات الله عليه، فقلوبنا ترتع فيها الشياطين من كل جانب، إننا نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ونشم بأنوفنا كثيراً من المحرّمات.

إن الفرق شاسع، ولا مجال لأن نقيس أنفسنا بأفضل خَلق الله وخاتم رسله.

٧ـ إن تعدّد الزوجات أمر مشروع في كتاب الله للجميع بشروط من أهمها إقامة العدل بينهن وإعطائهن حقوقهن المشروعة.

٦ـ إن الزواج ستر مطلوب ومفروض، لا بد لتواجد الرغبة فيه عند الجنسين.

البيت النبوي

معلوم أن النبي ﷺ كان يتميّز عن بقية أفراد أُمّته بالسماح له بالتزوج بأكثر من أربع زوجات لأَغراض كثيرة، فكان عدد مَن عقَد عليهن ثلاث عشرة امرأة، تسع مات عنهن، واثنتان توفيتا في حياته، إحداهما خديجة، والأخرى أمُ المساكين زينب بنت خُزيمة، واثنتان لم يدخل بهما. وها هي أسماؤهن، ولمحة عنهن:

١ـ خديجة بنت خويلد: وهي أول زوجات الرسول ﷺ، تزوجها وعمره خمس وعشرون سنة، وهي في سن الأَربعين هي أول أمهات المؤمنين، ولم يتزوج عليها غيرها، وكان له منها أبناء وبنات، أمّا الأَبناء، فلم يعش منهم أحد. وأما البنات فهن: (زينب ورُقيّة وأمُ كلثوم وفاطمة).

فأما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها أبو العاص بن ربيع، وأما رُقيّة وأمُ كُلثُوم فقد تزوجهما عثمان بن عفّان رضي الله عنه الواحدة بعد الأخرى. وأما فاطمة فتزوجها علي بن أبي طالب بين بدر وأُحُدْ، ومنها كان الحسَن والحُسين وزينب وأمُ كُلثُوم.

٢ـ سودة بنت زمعة: تزوجها رسول الله ﷺ في شوّال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بأيام، وكانت قبله عند ابن عم لها، يُقال له: السكران بن عمرو، فمات عنها.

٣ـ عائشة بنت أبي بكر الصدّيق: تزوجها في شوّال سنة إحدى

عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنى بها في شوّال بعد الهجرة بسبعة أشهر في المدينة، وهي بنت تسع سنين، وكانت بكراً، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أَحَبُّ نسائه إليه، وأفقه نساء الأمّة، وأعلمهن على الإطلاق.

٤ـ حفصة بنت عمر بن الخطّاب: تأيمت من زوجها خُنيس بن حُذافة السهمي، بين بدر وأُحُد، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ٣ للهجرة.

٥ـ زينب بنت خُزيمة بن هلال بن عامر بن صعصعة: وكانت تُسمّى أم المساكين، لعطفها عليهم، كانت زوجة لعبد الله بن جحش، فاستشهد في أُحُد، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤ للهجرة. ماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة أشهر.

٦ـ أم سَلَمَة: هند بنت أبي أُميّة: كانت زوجة أبي سَلَمَة، فمات عنها في جمادى الآخرة سنة ٤ للهجرة، فتزوجهارسول الله ﷺ في شوّال من السنة نفسها.

٧ـ زينب بنت جحش بن رئاب من بني أسد بن خُزيمة: وهي بنت عمة رسول الله ﷺ، وكانت زوجة زيد بن حارثة ـ الذي كان يُعتبَرَ ابناً للنبي ﷺ ـ فطلقها زيد. فأنزل الله تعالى يُخاطب رسول الله ﷺ:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وفيها نزلت من سورة الأحزاب آيات فصّلت قضية التبنّي، تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القِعدة سنة خمس من الهجرة.

٨ـ جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من خُزاعة: كانت في سبي بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها، فقضى

رسول الله ﷺ كتابتها، وتزوجها في شعبان سنة ٦ للهجرة.

٩ـ أم حبيبة: رَمْلَة بنت أبي سُفيان: كانت زوجة عُبيد الله بن جحش، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتدّ عُبيد الله وتنصّر، وتوفي هناك، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها، فلما بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُميّة الضمري بكتابه إلى النجاشي في مُحَرّم سنة ٧ للهجرة، خطب عليه أم حبيبة، فزوّجها إيّاه، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة.

١٠ـ صفيّة بنت حيي بن أخطب: من بني إسرائيل، كانت من سبي خيبر، فاصطفاها رسول الله ﷺ، لنفسه، فأعتقها، وتزوجها بعد فتح خيبر سنة ٧ للهجرة.

١١ـ ميمونة بنت الحارث أخت أم الفضل لُبابة بنت الحارث: تزوجها في ذي القعدة سنة ٧ للهجرة، في عمرة القضاء، بعد أن حلّ منها على الصحيح.

فهؤلاء إحدى عشرة سيدة، تزوج بهن الرسول ﷺ، وبنى بهن، وتوفيت منهن اثنتان ـ خديجة وزينب أم المساكين ـ في حياته، وتُوفي هو عن التسع الباقيات.

وأما الاثنتان اللتان لم يبنِ بهما فواحدة من بني كلاب، وأخرى من كندة، وهي المعروفة بالجونية، وهناك خلافات لا حاجة إلى بسطها.

السراري:

وأما السراري فالمعروف أنه تسرّى باثنتين:

إحداهما: (ماريّة القبطية)، أهداها له المُقوقس، فأولدها ابنه إبراهيم، الذي توفي صغيراً بالمدينة في حياته ﷺ في ٢٨ أو٢٩ من شهر شوال سنة ١٠ للهجرة، المُوافق: ٢٧ كانون الثاني سنة ٦٣٢م.

والسرية الثانية هي: (ريحانة بنت زيد النضرية أو القرظية)، كانت

من سبايا قُريظة، فاصطفاها لنفسه، وقيل: بل هي من أزواجه ﷺ، أعتقها، فتزوجها. والقول الأَول رجّحه ابن القيم، وزاد أبو عُبيدة اثنتين أُخْرَيين، جميلة أصابها في بعض السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

ومَن نظر إلى حياة الرسول ﷺ عرف جيداً أن زواجه بهذا العدد الكثير من النساء في أواخر عمره بعد أن قضى ما يُقارب خمسون عاماً من رَيعان شبابه وأجْوَد أيامه مقتصراً على زوجة واحدة خديجة ثم سودة.

من هنا نعرف أن هذا الزواج لم يكن من أجل قوة عارمة من الشبق لا يصبر معها إلاّ بمثل هذا العدد الكثير من النساء، بل كانت هناك أغراض أخرى أجَلّ وأعظم من هذا الغرض.

الزواج الإسلامي

الزّواج الإسلامي

الحث على الزواج:

الزوجية سنّة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهي عامة مطّردة، لا يشذ عنها عالم الإنسان، أو عالم الحيوان أو عالم النبات:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦].

وهي الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة، بعد أن أعدَّ كلا الزوجين وهيأهما، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١].

ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم، فيدع غرائزه تنطلق دون وَعْي، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له.

بل وضع النظام الملائم لسيادته، والذي من شأنه أن يحفظ شرفه، ويصون كرامته.

فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً، مبيناً على رضاهما.

وعل إيجاب وقبول، كمظهرين لهذا الرضا.

وعلى إشهاد، على أن كُلاًّ منهما قد أصبح للآخر.

وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون كَلاءً مباحاً لكل راتع.

ووضع نواة الأسرة التي تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة. فتنبت نباتاً حسناً، وتثمر ثمارها اليانعة.

كما حثّ الإسلام على الزواج، ونهى الرجال عن الرهبنة والخصاء والتبتل، لما في ذلك من ظلم واضح للمرأة وهضم مؤكد لحقوقها، ويدل على ذلك ما رُوي عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تبتل في الإسلام».

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتأذن لي أن أختصي، فقال ﷺ: «خِصاء أمتي: الصيام والقيام».

أسس اختيار الزوجة

الزوجة سكن للزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه.

وهي أهم ركن من أركان الأسرة، إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيراً من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربّى ملكاته ويتلقى لغته، ويكتسب كثيراً من تقاليده وعاداته، ويتعرف على دينه، ويتعود السلوك الاجتماعي.

من أجل هذا عُني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه.

وليس الصلاح إلاَّ المحافظة على الدين، والتمسك بالفضائل، ورعاية حق الزوج، وحماية الأبناء، فهذا هو الذي ينبغي مراعاته.

وأما ما عدا ذلك من مظاهر الدنيا، فهو مما حظَره الإسلام ونهى عنه إذا كان مجرداً من معاني الخير والفضل والصلاح.

وكثيراً ما يتطلع الناس إلى المال الكثير، أو الجمال الفاتن، أو الجاه العريض، أو النسب العريق، أو إلى ما يعده من شرف الآباء، غير ملاحظين كمال النفوس وحسن التربية. فتكون ثمرة الزواج مُرَّة، وتنتهي بنتائج ضارة.

لهذا يحذر الرسول ﷺ من التزويج على هذا النحو، فيقول: «إياكم وخَضْراءَ الدِّمَن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

ويقول: «لا تَزَوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمَةٌ خرماء ذات دين أفضل».

وبيّن الإسلام للرجال الكيفية التي تُختار على أساسها الزوجة:

فعن أبي هُريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«تُنكَح المرأة لأَربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك».

سُئل ﷺ: أي النساء خير؟ فقال: «التي تسرهُ إذا نظَرَ، وتطيعهُ إذا أمرَ، ولا تُخالفه فيما يكرهُ في نفسها وماله». ذكره أحمد.

وسُئل ﷺ أيضاً: أي المال يُتخذ؟ فقال: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة». ذكره أحمد، والترمذي وحسَّنه.

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب

وجمال وأنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».

وقال ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».

وقال أيضاً: «أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة وأولاده أبراراً، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده».

وقال بعضهم لولده حين أراد الزواج:

«يا بني.. لا تتخذها حنّانة، ولا أنانّة ولا منّانة.

فاحرص أيها الرجل على حسن اختيارك لشريكة حياتك لأنها ستكون الدعامة الثانية لهذه الحياة.

اختيار الزوج

لقد منح الإسلام المرأة حق الزواج بمن هو كفء لها وعلى الْوَليّ أن يختار لكريمته، فلا يزوجها إلا لمن له دين وخلق وشرف وحسن سمت، فإن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن سرّحها سرحها بإحسان.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق بكل حال.

ومهما زوج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر، فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من الرحم وسوء الاختيار.

قال رجل للحسن بن علي: إن لي بنتاً، فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها لمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن بغضها لم يظلمها.

وقال ﷺ: «من زوَّج كريمتَه من فاسقٍ فقد قَطَع رَحِمَهَا». رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أَنَس، ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح.

قال ابن تيمية: ومن كان مصراً على الفسوق لا ينبغي أن يزوَّج.

ومما ينبغي ملاحظته في الزواج أن يكون ثمة تقارب بين الزوج والزوجة من حيث السن والمركز الاجتماعي، والمستوىٰ الثقافي والاقتصادي فإن التقارب في هذه النواحي، مما يعين علىٰ دوام العشرة وبقاء الألفة .

الخطبة

والخطبة من مقدمات الزواج، وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كلٌّ من الزوجين صاحبه، ويكون الاقدام على الزواج على هدىً وبصيرة .

ولا تباح خطبة امرأة إلاَّ إذا توافر فيها شرطان :

(الأول) أن تكون خالية من الموانع الشرعية التي تمنع زواجه منها في الحال .

(الثاني) ألاَّ يسبقه غيره إليها بخطبة شرعية .

فإن كانت ثمة موانع شرعية، كأن تكون محرمة عليه بسبب من أسباب التحريم المؤبدة أو المؤقتة، أو كان غيره سبقه بخطبتها، فلا يباح له خطبتها .

خطبة معتدة الغير :

تحرم خطبة المعتدة، سواء أكانت عدتها عدة وفاة أو عدة طلاق، وسواء أكان الطلاق طلاقاً رجعياً أم بائناً .

فإن كانت معتدة من طلاق رجعي حرمت خطبتها، لأنها لم تخرج عن عصمة زوجها . وله مراجعتها في أي وقت شاء .

وإن كانت معتدة من طلاق بائن حرمت خطبتها، بطريق التصريح،

إذ حق الزوج لا يزال متعلقاً بها، وله حق إعادتها بعقد جديد. ففي تقدم رجل آخر لخطبتها اعتداء عليه.

والرغبة في الخطبة هاجس يُراود كل أُنثى في حياتها، وتفكر بفارس أحلامها، لكن حياءها يمنعها أن تكشف عمّا في صدرها على الملأِ بخلاف الشاب، فهو يتحدّث ليلاً ونهاراً أمام كل مَن حوله، أنه بدأ بالتفتيش عن شريكة حياته.

ونرى في مفاهيمنا العصرية أن من حق الفتاة أن تختار مَن تريد، وترفض مَن لا تحبه، وتُصارح دون خجل، فهذا من حقها، وليس عيباً أو حراماً... إن العيب والحرام أن تفعل هذا في غفلة عن أهلها، فتسهر الليل أمام الهاتف، أو تنظر من إحدى فجوات النافذة، فلعلّ مَن تحبه يمر من أمامها، فتراه.

إن العادات القبلية والعصبية خَلقت جواً فاسداً في عصرنا الحاضر، وأجبرت كثيراً من الفتيات أن يتبعنَ طريق الخفاء والتستر والكذب، لأنها مُنعتْ من حقها المشروع.

ولا فرق بين حق الرجل وحق المرأة في مضمار الزواج.

فكما أنك أيها الشاب لك إحساس ومشاعر ورغبة جنسية خلقها الله في داخلك... فالله عزّ وجل هو الذي جعل هذه الرغبة عند النساء.

ولماذا تزوجت أمك وخالتك وجدتك؟... لماذا تغار أو تستغرب من حق أختك في الزواج، ولا تغار على أمك الصالحة النقية التي تنام كل يوم في فراش أبيك، وبنتها قد بلغت العشرين عاماً، وأنتَ تقف عثرة في طريق زواجها الشريف.

بل لماذا تحلم وتفكر، وتسهر الليل لتكتب رسالة عاطفية ترميها على أبواب مدارس البنات، مع رقم هاتفك، لعلّها تقع في يد إحدى الفتيات....

هل تعلم من هؤلاء الفتيات شرعاً.... كلهم أخواتك في الله، ومطلوب منك الدفاع عن شرفهن وعرضهن، لا أن تتحرش بهن، لكل واحدة منهن أب أو أخ.... فآباؤهن وإخوتهن لم يتزوجوا على أبواب المدارس، أو وقفوا لاصطياد بنات الناس، بل أَتَوْا إليهن من أبواب أهلهن علناً، رافعي الرأس، وليسوا مثلك، حيث تقف ذليلاً ترمي الورقة وتختبىء خوفاً من الناس أو أحد رجال الأَمن....، إن صيد البر والبحر هو للحيوانات، وليس لبني البشر... فهل يُحوّلنا أمثالك إلى وحوش مفترسة؟

ثم إنك أيها الشاب تستطيع أن تدخل البيوت من أبوابها وتختار زوجة صالحة بدلاً من هذه الأساليب الملتوية التي تدل على سوء الاختيار، كما أنك تستطيع أن تمنع أختك من هذه الأساليب الملتوية أيضاً بأن تحسن لها اختيار زوج صالح ولا مانع شرعاً من أن تعرضها عليه فلا عيب في ذلك، فالذي تعلمناه من سيرة الصحابة والتابعين أنهم كانوا يعرضون بناتهم على مَن يثقون بأدبه وأخلاقه، فعمر بن الخطّاب رضي الله عنه الذي كان يغار على بناته في الجاهلية غيرة مفرطة، حوّله الإسلام إلى أن يعرض بنته حفصة على صحابة رسول الله، فامتنعوا، فتزوجها رسول الله ﷺ.

واعلم يا أخي أنه لا يجوز إكراه الفتاة على الزواج ممن لا ترضى ولا تحب، بل يجب استئذانها، ففي الصحيحين عنه ﷺ: «لا تُنكح البكر حتى تستأذَنَ» قالوا: وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت»، وسألته ﷺ جارية بكر، فقالت: إن أباها زوجها وهي كارهة؟ فخيَّرها النبي ﷺ. فقد أمر باستئذان البكر، ونهى عن إنكاحها بدون إذنها، وخيَّر النبي ﷺ من نُكحت ولم تُستأذن.

نظر الخاطب إلى المرأة التي يريد الزواج منها:

أفتى ﷺ من أراد أن يتزوج امرأة بأن ينظر إليها.

وسأله ﷺ المغيرة بن شعبة عن امرأة خطبها؟ فقال: «انظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدمَ بينكما».

وقد ذهب الجمهور من العلماء إلى أن الرجل ينظر إلى الوجه والكفين لا غير، لأنه يستدل بالنظر إلى الوجه على الجمال أو الدمامة، وإلى الكفين على خصوبة البدن أو عدمها.

وينبغي على الفتاة أن ترتدي ثوب العفة لأن الفتاة الرزينة المحتشمة المتمكنة من شخصيتها، هي في عين الرجل أثمن من الفتاة الخفيفة السخيفة، ولا شيء يرفع قدر المرأة كالعفة فلا يجوز أن يخلو رجل بالمخطوبة حتى يعقد عليها إلا بوجود محرم.

فعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخلونَّ رجل بامرأة لا تحل له، فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم».

عقد الزواج

الركن الحقيقي للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط. ولما كان الرضا وتوافق الإرادة من الأمور النفسية التي لا يُطلع عليها، كان لا بدَّ من التعبير الدال على التصميم على إنشاء الارتباط وإيجاده. ويتمثل التعبير فيما يجري من عبارات بين المتعاقدين. فما صدر أولاً من أحد المتعاقدين للتعبير عن إرادته في إنشاء الصلة الزوجية يسمى إيجاباً، ويقال: أنه أوجب.

وما صدر ثانياً من المتعاقد الآخر من العبارات الدالة على الرضا والموافقة يسمى قبولاً.

ومن ثم يقول الفقهاء:

إن أركان الزواج «الإيجاب، والقبول».

شروط الإيجاب والقبول:

لا يتحقق العقد وتترتب عليه الآثار الزوجية، إلا إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

١ـ تمييز المتعاقديْن: فإن كان أحدهما مجنوناً أو صغيراً لا يميز فإن الزواج لا ينعقد.

٢ـ اتحاد مجلس الايجاب والقبول، بمعنى ألا يفصل بين الإيجاب والقبول بكلام أجنبي، أو بما يعد في العرف إعراضاً وتشاغلاً عنه بغيره.

ولا يشترط أن يكون القبول بعد الإيجاب مباشرة. فلو طال المجلس وتراخى القبول عن الايجاب، ولم يصدر بينهما ما يدل على الإعراض، فالمجلس متحد.

وإلى هذا ذهب الأحناف والحنابلة.

ويشترط الشافعية الفور.

وأما مالك، فأجاز التراخي والسير بين الإيجاب والقبول.

٣ـ ألا يخالف القبول الإيجاب إلا إذا كانت المخالفة إلى ما هو أحسن للموجب فإنها تكون أبلغ في الموافقة.

٤ـ سماع كل من المتعاقدين بعضهما من بعض ما يفهم أن المقصود من الكلام هو إنشاء عقد الزواج.

شروط صحة الزواج

شروط صحة الزواج هي الشروط التي يتوقف عليها صحته، بحيث إذا وجدت يعتبر عقد الزواج موجوداً شرعاً، وتثبت له جميع الأحكام والحقوق المترتبة عليه. وهذه الشروط اثنان:

(الشرط الأول) حلُّ المرأة للتزوج بالرجل الذي يريد الاقتران بها. فيشترط ألا تكون محرمة عليه بأي سبب من أسباب التحريم المؤقت أو المؤبد. وسيأتي ذلك مفصلاً في بحث «المحرمات من النساء».

(الشرط الثاني) الإشهاد على الزواج: وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الزواج لا ينعقد إلا ببينة، ولا ينعقد حتى يكون الشهود حضوراً حالة العقد ولو حصل إعلان عنه بوسيلة أخرى.

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي وشاهدَيْ عدل» رواه الدار قطني.

ما يشترط في الشهود:

ويشترط في الشهود: العقل، والبلوغ، وسماع كلام المتعاقدين مع فهم أن المقصود به عقد الزواج.

وأما اشتراط العدالة في الشهود، فذهب الأحناف إلى أن العدالة لا تشترط، وأن الزواج ينعقد بشهادة الفاسقين، وكل من يصلح أن يكون ولياً.

والشافعية قالوا: لا بد من أن يكون الشهود عدولاً لحديث «لا نكاح إلا بولي وشاهديْ عدل».

شهادة النساء:

والشافعية والحنابلة يشترطون في الشهود الذكورة، فإن عقد الزواج بشهادة رجل وامرأتين لا يصح، لما رواه أبو عبيد عن الزهري أنه قال: «مضت السنة عن رسول الله ﷺ: أنْ لا يجوز شهادة النساء في الحدود، ولا في النكاح، ولا في الطلاق».

والأحناف لا يشترطون هذا الشرط، ويرون أن شهادة رجلين أو رجل وامرأتين كافية، لقول الله تعالى:

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

اشتراط الحرية:

ويشترط أبو حنيفة والشافعي أن يكون الشهود أحراراً.

وأحمد لا يشترط الحرية، ويرى أن شهادة العبدين ينعقد بها الزواج.

اشتراط الإسلام:

والفقهاء لم يختلفوا في اشتراط الإسلام في الشهود إذا كان العقد بين مسلم ومسلمة.

المحرمات من النساء

ليست كل امرأة صالحة للعقد عليها، بل يشترط في المرأة التي يراد العقد عليها أن تكون غير محرَّمة على من يريد التزوج بها، سواء أكان هذا التحريم مؤبداً أم مؤقتاً.

والتحريم المؤبد يمنع المرأة أن تكون زوجة للرجل في جميع الأوقات.

والتحريم المؤقت يمنع المرأة من التزوج بها ما دامت على حالة خاصة قائمة بها، فإن تغير الحال وزال التحريم الوقتيُّ صارت حلالاً.

وأسباب التحريم المؤبدة هي:

١ ـ النسب.

٢ ـ المصاهرة.

٣ ـ الرضاع.

وهي المذكورة في قول الله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣].

والمؤقتة تنحصر في أنواع. وهذا بيان كل منها:

المحرمات من النسب هن:

١ـ الأمّهات.

٢ـ البنات.

٣ـ الأخوات.

٤ـ العمّات.

٥ـ الخالات.

٦ـ بنات الأخ.

٧ـ بنات الأخت.

المحرمات بسبب المصاهرة:

المحرمات بسبب المصاهرة هن:

١ـ أم زوجته، وأم أمها، وأم أبيها، وإن علت، لقوله تعالى:

﴿وأمهات نسائكم﴾ [النساء: ٢٣].

ولا يشترط في تحريمها الدخول بها، بل مجرد العقد عليها يحرِّمها.

٢ـ وابنة زوجته التي دخل بها.

ويدخل في ذلك بنات بناتها، وبنات أبنائها، وإن نزلن، لأنهن من بناتها لقول الله تعالى:

﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

٣ـ زوجة الابن، وابن ابنه، وابن بنته وإن نزل لقول الله تعالى:

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

٤ـ زوجة الأب: يحرم على الابن التزوج بحليلة أبيه، بمجرد عقد الأب عليها، ولم يدخل بها.

المحرمات بسبب الرضاع

يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، والذي يحرم من النسب: الأم، والبنت، والأخت، والعمّة، والخالة، وبنات الأخ، وبنات الأخت.

وهي التي بينها الله تعالى في قوله:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [النساء: ٢٣].

وعلى هذا، فتُنَزَّلُ المرضعة منزلة الأم، وتحرم على المرضَع، هي وكل من يحرم على الابن من قبل أمِّ النسب فتحرم:

١ـ المرأة المرضعة، لأنها بإرضاعتها تُعَدُّ أماً للرضيع.

٢ـ أم المرضعة، لأنها جدة له.

٣ـ أم زوج المرضعة ـ صاحب اللبن ـ لأنها جدة كذلك.

٤ـ أخت الأم، لأنها خالة الرضيع.

٥ـ أخت زوجها ـ صاحب اللبن ـ لأنها عمته.

٦ـ بنات بنيها وبناتها، لأنهن بنات أخواته وإخوته.

٧ـ الأخت، سواء أكانت لأب وأم، أو أختاً لأم، أو أختاً لأب.

الرضاع الذي يثبت به التحريم:

الظاهر أن الإرضاع الذي يثبت به التحريم، هو مطلق الإرضاع، وللعلماء في هذه المسألة عدة آراء نجملها فيما يأتي:

١ ـ أن قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم أخذاً بإطلاق الإرضاع في الآية. وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك ورواية عن أحمد.

٢ ـ أن التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات متفرقات. لما رواه مسلم وأبو داود، والنسائي، عن عائشة قالت: «كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرِّمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، وهن فيما يقرأ من القرآن».

وهذا تقييد لإطلاق الكتاب والسنة، وتقييد المطلق بيان، لا نسخ ولا تخصيص.

وهذا مذهب عبد الله بن مسعود، وإحدى الروايات عن عائشة، وعبد الله بن الزبير، وعطاء، وطاووس، والشافعي، وأحمد في ظاهر مذهبه، وابن حزم، وأكثر أهل الحديث.

٣ ـ أن التحريم يثبت بثلاث رضعات فأكثر.

لأن النبي ﷺ قال: «لا تحرم المصَّة ولا المصتان». وهذا صريح في نفي التحريم بما دون الثلاث، فيكون التحريم منحصراً فيما زاد عليهما.

وإلى هذا ذهب أبو عبيد، وأبو ثور، وداود الظاهري، وابن المنذر، ورواية عن أحمد.

سن الرضاع:

الرضاع المحرِّم للزواج ما كان في الحولين. وهي المدة التي بينها الله تعالى وحددها في قوله:

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

روى الدار قطني، وابن عدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا رضاع إلاَّ في الحولين».

وروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم، وأنبت اللحم» رواه أبو داود.

ولو فطم الرضيع قبل الحولين واستغنى بالغذاء عن اللبن. ثم أرضعته امرأة، فإن ذلك الرضاع تثبت به الحرمة عند أبي حنيفة والشافعي، لقول الرسول ﷺ: «إنما الرضاعة من المجاعة».

وقال مالك: ما كان من الرضاعة بعد الحولين كان قليله وكثيره لا يحرم شيئاً، إنما هو بمنزلة الماء.

المحرمات مؤقتاً

(١) الجمع بين المحرمين:

يَحْرُمُ الجمع بين الأختين، وبين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، كما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة، لو كانت إحداهما رجلاً لم يَجُزْ له التزوج بالأخرى.

ودليل ذلك:

١ـ قول الله تعالى:

﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء: ٢٣].

٢ـ وما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ نهى أن يُجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها.

٣ـ وما رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وحسّنه، عن فيروز الديلمي أنه أدركه الإسلام وتحته أختان، فقال له رسول الله ﷺ: «طلق أيّتهما شئت».

وهذا الجمع بين المحارم كما هو ممنوع في الزواج فهو ممنوع في العدة.

فقد أجمع العلماء على أن الرجل إذا طلق زوجته طلاقاً رجعياً فلا يجوز له أن يتزوج أختها، أو أربعاً سواها حتى تنقضي عدتها، لأن الزواج قائم وله حق الرجعة في أي وقت.

(٢و٣) زوجة الغير ومعتدته:

يحرم على المسلم أن يتزوج زوجة الغير، أو معتدته رعاية لحق الزوج، لقول الله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ [النساء: ٢٤].

(٤) المطلقة ثلاثاً:

المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجاً غيره نكاحاً صحيحاً.

(٥) عقد المحرم:

يحرم على المُحْرِم، أن يعقد النكاح لنفسه أو لغيره بولاية، أو وكالة، ويقع العقد باطلاً، لا تترتب عليه آثاره الشرعية، لما رواه مسلم

وغيره، عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَنْكِحُ المحرم ولا يُنْكَح ولا يخطب». رواه الترمذي وليس فيه ولا يخطب.

إلغاء بعض أنواع النكاح الباطلة:

لقد ألغى الإسلام أنواعاً من النكاح، كانت سائدة قبل الإسلام، ولم يكن يُقصَد منها إلاّ التمتع بالمرأة وإرواء الشهوة. نذكر من ذلك:

١ـ نكاح المتعة:

وهو يحرم المرأة من الميراث، ومن حقوق أخرى كثيرة، إذ لا غاية منه إلاّ التمتع بالمرأة.

وقد منعه الرسول ﷺ في الفترة الأخيرة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر».

٢ـ نكاح الشغار:

وهو يعني أن يُزوّج الرجل ابنته لرجل، على أن يُزوّج له الآخر ابنته، وليس بينهما صداق.

ولقد نهى الإسلام عنه لأنه لم يجعل للمرأة مهراً خاصاً بها بل جعلها وسيلة رخيصة لاستجلاب المتعة للرجل.

عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الشغار».

٣ـ زواج التحليل:

وهو أن يتزوج المطلقة ثلاثاً بعد انقضاء عدتها، أو يدخل بها ثم يطلقها ليحلها للزوج الأول.

وهذا النوع من الزواج كبير من كبائر الإثم والفواحش، حرَّمه الله، ولعن فاعله.

١ـ فعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ الله المحلِّل والمحلَّل له». رواه أحمد بسند حسن.

٢ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: «لَعَنَ رسول الله ﷺ المحلِّل والمحلَّل له». رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح.

حكمه:

هذه النصوص صريحة في بطلان هذا الزواج وعدم صحته، لأن اللعن لا يكون إلاَّ على أمر غير جائز في الشريعة، وهو لا يحل المرأة للزوج الأول، ولو لم يشترط التحليل عند العقد ما دام قصد التحليل قائماً، فإن العبرة بالمقاصد والنوايا.

قال الشافعي: المحلل الذي يفسد نكاحه هو من يتزوجها ليحلها ثم يطلقها، فأما من لم يشترط ذلك في عقد النكاح فعقده صحيح.

وقال ابن حنيفة وزفر: إن اشترط ذلك عند إنشاء العقد، بأن صرح أنه يحلها للأول تحل للأول ويكره، لأن عقد الزواج لا يبطل بالشروط الفاسدة فتحل للزوج الأول بعد طلاقها من الزوج الثاني أو موته عنها وانقضاء عدتها.

وعند أبي يوسف هو عقد فاسد، لأنه زواج مؤقت، ويرى محمد صحة العقد الثاني، ولكنه لا يحلها للزوج الأول.

وعلى هذا فإن المرأة لا تحل للأول إلاَّ بهذه الشروط:

١ـ أن يكون زواجها بالزوج الثاني صحيحاً.

٢ـ أن يكون زواج رغبة.

٣ـ أن يدخل بها دخولاً حقيقياً بعد العقد، ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

ومن الشروط ما نهى الشارع عنها ويحرم الوفاء بها: وهي اشتراط المرأة عند الزواج طلاق ضرتها.

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل أن تُنكَح امرأةٌ بطلاق أخرى» رواه أحمد.

الحقوق الزوجية

إذا وقع العقد صحيحاً نافذاً ترتبت عليه آثاره، ووجبت بمقتضاه الحقوق الزوجية.

وهذه الحقوق ثلاثة أقسام:

١ـ منها حقوق واجبة للزوجة على زوجها.

٢ـ ومنها حقوق واجبة للزوج على زوجته.

٣ـ ومنها حقوق مشتركة بينهما.

وفيما يلي تفصيل وبيان لبعض هذه الحقوق:

الحقوق المشتركة بين الزوجين:

والحقوق المشتركة بينهما هي:

١ـ حل العشرة الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر.

٢ـ حرمة المصاهرة: أي الزوجة تحرم علىٰ آباء الزوج، وأجداده، وأبنائه وفروع أبنائه، كما يحرم علىٰ أمهاتها وبناتها، وفروع أبنائها وبناتها.

٣ـ ثبوت النسب الولد من الزوج صاحب الفراش.

٤ـ ثبوت التوارث بينهما بمجرد إتمام العقد.

٥ـ المعاشرة بالمعروف حتىٰ يسودهما الوئام ويظلهما السلام.

الحقوق الواجبة للزوجة علىٰ زوجها:

١ـ حقوق مالية: وهي المهر، والنفقة.

٢ـ وحقوق غير مالية: مثل العدل بين الزوجات إذا كان الزوج متزوجاً بأكثر من واحدة، ومثل عدم الإضرار بالزوجة.

المهر:

من حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها، أن أعطاها حقها في التملك ففرض لها المهر، وجعله حقاً علىٰ الرجل لها وليس لأحد أن يأخذ شيئاً منها إلا في حال الرضا والاختيار قال تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤].

وهذا المهر المفروض للمرأة يطيب نفس المرأة ويرضيها بقوامة الرجل عليها، مع ما يضاف إلىٰ ذلك من توثيق الصلات، وإيجاد أسباب المودة والرحمة.

ولم تجعل الشريعة حداً لقلته ولا لكثرته إذ الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق، ولكن يكره غلاء المهور وقد وردت الأخبار أن المهر كلما كان قليلاً كان الزواج مباركاً، فعن عائشة رضي الله عنهاأن النبي ﷺ قال: «إن أعظم النكاح بركة، أيسره مؤنة».

وقال: «يمن المرأة خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها».

ويجوز تعجيل المهر وتأجيله أو تعجيل البعض وتأجيل البعض الآخر حسب عادات النساء وعرفهن، ويستحب تعجيل جزء منه.

وإذا تزوج رجل امرأة بغير ذكر المهر واشترط أن لا مهر عليه فقيل: إن الزواج غير صحيح وإلى هذا ذهبت المالكية وابن حزم.

وذهبت الأحناف إلى القول بالجواز، إذ المهر ليس ركناً ولا شرطاً في عقد الزواج، ويجب المهر على الزوج كله إذا حصل الدخول الحقيقي، أو إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول.

كما يجب على الزوج نصف المهر إذا طلق زوجته قبل الدخول بها وكان قد فرض لها قدر الصداق.

أما المتعة فتجب إذا طلق الرجل زوجته قبل الدخول ولم يفرض لها صداقاً وتعويضاً لها عما فاتها.

النفقة:

وهي توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام، ومسكن، وخدمة، ودواء، وإن كانت غنية، قال تعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

والإسلام لا يُكره المرأة علىٰ حياة لا تطيقها، فأعطى الزوجة الحرية الكاملة في حالة عدم اقتدار الزوج على أداء النفقة، فإن شاءت أن تبقىٰ وتحتمل فلها ذلك، وهو الأولىٰ، وإن شاءت المفارقة فلها ذلك أيضاً، ورغم أن النفقة في الإسلام جعلت بيد الرجل وعلىٰ المرأة أن لا تتصرف في مال زوجها، إلا بإذنه وموافقته، إلا أنه سمح لها في حالة ما إذا بخل زوجها عليها أو على أولاده أن تأخذ من ماله بالمعروف وأن تنفق على نفسها وأسرتها دون إذن زوجها، وفي قصة هند زوج أبي سفيان دليل واضح على هذا الحق.

ولقد شجع الإسلام الرجال علىٰ النفقة بأن جعل لذلك أجراً عظيماً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «.. وأن الرجل ليؤجر في اللقمة، يدفعها إلى فم امرأته».

ـ وأهم حقوق الزوجة علىٰ زوجها من الحقوق غير المادية:

حسن المعاشرة ومعاملتها بالمعروف مما يؤلف قلبها، فضلاً عن تحمُّل ما يصدر منها والصبر عليه والمسامحة بينهما.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧].

ومن مظاهر اكتمال الخلق، ونمو الإيمان أن يكون المرء رقيقاً مع أهله يقول الرسول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم». وقال أيضاً «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

ومن إكرام المرأة التلطف معها ومداعبتها، فقد قال رسول الله ﷺ: «ليس من اللهو ثلاث: تأديب الرجل فرسه، ورميه عن قوسه ونبله، وملاعبة أهله».

كما قال الرسول ﷺ: «هلا بكراً تلاعبها».

وقد كان الرسول ﷺ يتلطف مع عائشة رضي الله عنها فيسابقها.

ويمكننا الآن أن نجمل واجبات الزوجة على الزوج بقول رسول الله ﷺ: «حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طُعم، ويكسوها إذا اكتسىٰ، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت».

وهذا يدل على أن الرسول الكريم ﷺ يريد من الزوجين أن ترفرف طيور المحبة والمودة والسكينة في عشهما الزوجي مدى الحياة، وعلى الزوج أن يضع نصب عينيه وصية رسول الله ﷺ حين قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه».

ولتكن وصيتك أيها الزوج لزوجتك مثل وصية أبي الدرداء لامرأته: «إذا رأيتيني غضبت فرضِّني، وإذا رأيتُكِ غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب».

حق الزوج على زوجته:

من حق الزوج علىٰ زوجته أن تطيعه في غير معصية، وأن تحفظه في نفسها وماله، وأن تمتنع عن مقارفة أي شيء يضيق به الرجل، فلا تعبس في وجهه ولا تبدو في صورة يكرهها وهذا من أعظم الحقوق.

قال رسول الله ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في ماله ونفسه».

وقال أيضاً: «حق الزوج علىٰ المرأة أن لا تهجر فراشه، وأن تبر قسمه، وأن تطيع أمره، وأن لا تخرج إلا بإذنه، وأن لا تدخل إليه من يكره».

ومحافظة الزوجة على هذا الخلق يعتبر جهاداً في سبيل الله، روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله علىٰ الرجال، فإن يُصيبُوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام:

«أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج اعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله».

ولقد وضع الإسلام أساساً للتعامل بين الزوجين وتنظيم الحياة بينهما. فالرجل أقدر على العمل والكدح والكسب خارج المنزل، والمرأة أقدر على تدبير المنزل، وتربية الأولاد، فكلّف الرجل بما هو مناسب له وكلّف المرأة بما هو من طبيعتها. وجعل لها مقابل ذلك أجراً عظيماً.

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب لها ألفي حسنة وغفر لها ألفي سيئة واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألفي درجة».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله والتكبير في سبيل الله أثقل من السموات والأرض وإيما امرأت كست زوجها من غزلها كان لها بكل سدى ولحمة مائة ألف حسنة».

ومن عظم حق الزوج على الزوجة فقد قرن الإسلام طاعة الزوج بإقامة الفرائض الدينية وطاعة الله فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت».

وقال أيضاً: «أيما امرأة ماتت، وزوجها عنها راض، دخلت الجنة»، وحق الطاعة هذا مقيد بالمعروف. فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فلو أمرها بمعصية وجب عليها أن تخالفه.

ومن المستحسن أن تتزين المرأة لزوجها بالكحل والخضاب والطيب ونحو ذلك من أنواع الزينة لتدوم العلاقة بينهما بالمودة والمحبة.

حق الوالدين على الأولاد:

من المعروف: أن جميع الشرائع قبل الإسلام أجمعت على تقديم الأب علىٰ الأم في توصية الأبناء، فإن شريعة اليونان والرومان كانتا تُقدِّمان الأب عليها وكذلك شرائع بوذا والهند والصين واليهود والعرب والفرس ، فالأم قبل الإسلام كانت تُعق وتُذَل وتهجر وتعامل أسوأ معاملة، دون أن يكون من حقها أن تشتكي إلىٰ أحد، أو تتظلم عند أحد.

فجاء الإسلام ينهىٰ عن ذلك ويأمر ببر الأم والإحسان إليها.

فقد استطاع الإسلام أن يوجد للأم مكانة رفيعة في الأسرة والمجتمع ولم يسمح للابن أن يؤذي مشاعر والدته، أو أن يمس كرامتها بالشتم أو غيره، وجعل من أكبر الكبائر عند الله أن يتسبب المسلم في سب والديه، حتىٰ ولو جرىٰ على لسان الآخرين، قال ﷺ: «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه: قيل يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه وأمه».

واحترم الإسلام مشاعر الأم حتىٰ أثناء تأدية العبادات لله تعالىٰ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه».

وأوصى الله تعالى الأولاد بالوالدين، فقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

ففي هذه الآية يوصي الله سبحانه وتعالى الإنسان بالإحسان إلى الوالدين وإكرامهما، ثم يوضح ما تعانيه الأم، خاصة من آلام ومشاق، تبدأ من الحمل وتمتد إلىٰ ما بعد الوضع، من رضاعة ورعاية وتربية، فالوضع عملية شاقة ممزقة ولكن آلامها الهائلة كلها لا تقف في وجه الفطرة ولا تنسي الأم حلاوة الثمرة ومنح الحياة لنبتة جديدة، تعيش وتمتد، بينما هي تنزوي وتموت.

ثم تأتي مرحلة الرضاع والرعاية حيث تعطي الأم عصارة لحمها ودمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعضائها في الرعاية وهي مع هذا فرحة سعيدة رحيمة ودودة، وجعل الله تعالى أجر الحمل والرضاع كأجر الشهيد، قال ﷺ: «المرأة في حملها، إلى وضعها، إلى فصالها، كالمرابط في سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك، كان لها أجر شهيد».

ولهذا كله قدّم الإسلام بر الأم علىٰ أخص العبادات فجعل طاعتها واجبة حتىٰ وأنت واقف في الصلاة النافلة وخاشع بين يدي الله تعالى. فالإسلام لم يخيّر الأبناء في بر الوالدين وإنما جعله واجباً عليهم لا مناص لهم من تأديته والقيام به، قال رسول الله ﷺ: «برّ أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك فأدناك».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «من أحق الناس بصحبتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال ثم من؟ قال: «أبوك»، وقد وردت آيات كثيرة تأمر الإنسان ببر الوالدين قال تعالى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ

لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٢٤].

وقال أيضاً: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

وبر الوالدين مقدّم علىٰ الجهاد رغم ما للجهاد من أهمية بالغة في حماية الدعوة الإسلامية، وتذليل العقبات في طريقها، فقد كان رسول الله ﷺ يختار لفئة من الناس بر الأمهات بدل اللحاق بقوافل الجهاد، مؤكداً لهم أن ذلك يعدل عند الله تعالى الجهاد بما فيه من مشاق ومخاطر.

عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه، قال: أقبل رجل إلىٰ نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله عز وجل، قال: «فهل لك من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما قال: «أتبتغي الأجر من الله عز وجل؟ قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما».

بر الوالدين بعد موتهما:

إن اهتمام الإسلام بالوالدين لم يقف عند حد حضورهم وإنما تعداه إلى غيابهم وما بعد مماتهم، عن الحسن أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني كنت أبرّ أمي، وإنها ماتت، فإن تصدّقت عنها وأعتقت عنها، أينفعها ذلك؟ قال: نعم، قال: فمرني بصدقة، قال: «اسق الماء» فنصب سعد ساقيتين بالمدينة.

فأوجب الإسلام الترحم علىٰ الوالدين، والاستغفار لهم، وصلة

الرحم بوصل أهليهم وإكرام أصدقائهم والتصدق عنهما.

عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صِلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي».

عقوق الوالدين:

أوجب الإسلام علىٰ الأبناء أن يصلوا الأمهات والآباء، وإن قطعوهم، وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «لا يدخل الجنة قاطع». وقال ﷺ: «ليس الوصل بالمكافىء ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها».

ولقد جعل الإسلام عقوق الوالدين من الكبائر التي لا يكبرها شيء سوىٰ الشرك بالله تعالى.

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟» قلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور ألا وقول الزور» فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت.

ـ وقد عاقب الله عز وجل من يضرب أحد الوالدين بأن لا ينظر إليه يوم القيامة ولا يزكيه، ويدخله النار أول الداخلين، ومن العقوق لهما آنذاك أن يمشي الابن أمامهما، أو يجلس قبلهما، أو يدعهما بأسمائهما.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتىٰ رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ، فقال: «يا هذا من الذي معك؟» قال: أبي، قال: «فلا تمشِ أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تَدْعُه باسمه، ولا تُسَتَسَب له».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «سبعة لا ينظر الله لهم يوم

القيامة، ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العاملين، ويدخلهم النار أول الداخلين، وذكر منهم الضارب والديه حتى يستغيثا.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ﷺ: «ثلاثة حرّم الله عليهم الجنة: مُدمن خمر والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله».

والإسلام لا يقبل في العقوق أعذاراً، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك، وإن أمرك أن تخرج من أهلك ومالك».

فالإسلام قد أوجب على الابن أن يكون ليناً مع والديه، مطواعاً لهما في أموره كلها، باستثناء العقيدة، وإن أمره أن يخرج من أهله وماله فعليه أن يفعل.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [لقمان: ٥].

وقال ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات»،

كما في العقوق من إنكار واضح لجهود الوالدين، فإن الله قد عجل العقوبة لصاحبه في الدنيا قبل الآخرة، من دون الذنوب جميعاً لعظم الذنب المرتكب ولمكانة الوالدين في الإسلام.

وبعد أيها البرعم الصغير: هل أدركت هذه المكانة لوالديك. هل قدّمت لهم حق البر والإحسان؟ هل منحتهم عطفك وحنانك كما منحوا لك أرواحهم وقلوبهم؟

فنظرتكَ إليهم لك فيها أجر، فعن النبي ﷺ قال: «ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظر رحمة إلا كتب له بكل نظرة حجة مبرورة».

وقال أيضاً: «من قبّل بين عيني أمه كان له ستراً من النار».

وروي عنه أيضاً: «من قبل رجلي أمه فكأنما قبل عتبة الكعبة».

وفي الختام ليس بوسعي إلا أن أقول لك أيها الابن الودود: بُرَّ آباءك يَبرّكَ أبناؤك.

حق الأولاد علىٰ الوالدين:

الأولاد أمانة في أعناق الآباء، يُسألون عنهم يوم القيامة، فقد قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية علىٰ بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فأول حق يترتب للولد علىٰ والده أن يحسن اختيار الأم ذات الأصل الشريف، وثاني الحقوق أن يحسن تسميته فلا يسميه بأسماء تقلل من قيمته ككتكوت وجرو.

وأن يحسن تعليمه لأن غاية العلم الخير، وأن يقوم بتربيته على أحسن وجه مستخدماً الحكمة في ذلك لا القسوة والتسلط.

فقد قال الإمام علي كرم الله وجهه: «لا تقسروا أولادكم علىٰ آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».

وكما يقول المثل: «عامل ابنك كأمير مدة خمس سنوات، وكعبد عشر سنوات، وكصديق فيما بعد».

وهناك حكمة تقول: «إذا أعطيت الفقير سمكة مرة واحدة، أما إذا علمته الصيد، فإنك توفر له الطعام دائماً».

وهذه الحكمة تدل أن على الأب أن يوفر لولده عملاً وعلماً يساعده على تأمين مستقبله، ويبث في نفسه الثقة ويشجعه مستفيداً من حكمة قالها نابليون

حين قيل له: كيف استطعت أن تولد الثقة في جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث علىٰ ثلاث: من قال: لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف: قلت له: تعلّم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرّب.

وبذلك يضمن الأب لولده نشأة صالحة تنفعه في الدنيا والآخرة وأهم حق للأولاد يجدر الانتباه إليه أن يقوم الوالدان بالمساواة والعدل بينهم دون تمييز أحدهم على الآخر، وإلا سادت بينهم روح الغيرة والحقد والفرقة.. قال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في العطية».

وتقبيل خد ولدك الصغير وأطرافه علىٰ وجه الشفقة سنة، فعن النبي ﷺ قال: «أكثروا من تقبيل أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة».

وبعد: أيها الأب العطوف، وأيتها الأم الرؤوم هل أعطيتما ولدكما حقه من التربية الصالحة؟ هل عدلتما بين أولادكم؟ هل أعنتما ولدكما علىٰ برّكما؟

فقد قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله: على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما دلّوا».

ورحم الله امرأً أعان ولده علىٰ برّه.

المرأة وواقعها في الزواج

المرأة والجنس

يبدأ التفكير في الجنس منذ مرحلة المُراهقة، وليس من الطبيعي أن يفكر الفتى في هذه الأمور في فترة ما قبل البلوغ الجنسي.

وغالباً ما يعود انحراف الأَطفال أو شذوذ المراهقين في فترة مبكرة من حياة الإنسان إلى أسباب عائلية أو اجتماعية، كطلاق الأم مثلاً أو وفاة الأَب، أو أن يكون سكِّيراً أو منحرفاً لا يهتم بأولاده.

وهنا نبدأ من مرحلة المراهقة...

مرحلة المراهقة:

من الطبيعي أن يفكر الفتى أو الفتاة في هذه المرحلة في الأمور الجنسية، وليس ذلك غريباً فهي الفطرة التي فُطِرَ عليها الإنسان.

هذه الناحية تختلف من شخص لآخر حسب العوامل الاجتماعية والعوامل الوراثية.

ففي مرحلة البلوغ يبدأ المُراهق في البحث والتفتيش عن: ما هية الأمور الجنسية، وعملية الإنجاب، والولادة، وكيف تمت، هذا السؤال يُراود أي مُراهق، إن لم يكن تعلّمه منذ طفولته، وهذا يعود إلى طريقة تربيته العائلية.

الانحرافات:

إن نِسَب الانحراف في الدول المنحلة خُلُقياً كبيرة جداً، بل مُخيفة، ودائماً نقرأ في الصحف والمجلات والكتب عن عدد المنحرفين من الأطفال والمراهقين، ونِسَب الانتحار والاغتصاب ممّا لا يُصدّقه العقل.

ففي الولايات المتحدة الأَمريكية التي تُعتَبر من الدول الراقية في كل شيء ما عدا مجال الأَخلاق، لأَنهم ابتعدوا عن الدين...، لن أذكر الرقم الذي قرأته في إحدى المجلات الرسمية، ولكني أقول: ينتحر ألوف الشباب من الجنسين سنوياً، فما أقوى، وما أعظم تعاليم ديننا المُطهّر.

وقد ثبت حسب الإحصاءات الرسمية أن نسبة الانتحار في المملكة العربية السعودية هي أقل نسبة في دول العالم على الإطلاق، أو تكاد تكون معدومة، ويعود الفضل في هذا إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الغرّاء.

لقد أمرنا الرسول ﷺ أن نفرّق بين الأَطفال في المضاجع:

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع».

لقد أمرنا الإسلام بأمور تربوية أخرى كثيرة، هي مواقع حصينة قبل الوقوع في الكارثة، وإننا لنفخر في هذا أمام جميع دول العالم الكبيرة والصغيرة.

المرأة والمُغريات:

إن الأحكام الشرعية في ديننا الحنيف تؤكد أن المرأة أصبر من الرجل على تحمل المُغريات، وعندما فرض الإسلام الحجاب على المرأة خوفاً عليها من العابثين، وليس خوفاً منها، وغالباً ما يكون الرجل هو البادىء في استدراج المرأة إلى طريق الزلل.

إنه يُغريها بالمال والجاه، وإنه سوف يطير بها على حصان أبيض إلى أطراف الأَرض المُتناهية، ثم إلى عنان السماء، مروراً بكوكبي زحل والزهرة بعد أن يعرج بها بكل تأكيد إلى القمر، وأقسم لها أنها أجمل من القمر والشمس، وأنه سوف يهبها روحه وعينيه.

ولكن إذا انزاحت الغشاوة عن الحقيقة، وبدّدت أشعة الشمس الغيوم الداكنة، فتبخرت الأَحلام والأَوهام، وبدا هذا الفارس المغوار على حقيقته قطاً يموء، علّه يجد مَن يُحسن إليه بقيمة طعامه، ويدفع له أجور مسكنه.

وتنتظر المرأة أياماً طوالاً مرور الحصان السريع الأَبيض دون جدوى، ويمر الحصان أسود أعرج، فاقداً سرجه، لم يمتط صهوته فارس أحلامها، لأَنه لم يتعلم ركوب الخيل، وكان يسير على قدميه إن كان به رمق.

وتضيع الفتاة بين أمواج الأَحلام، وقسوة الواقع، وتزيد الحياة من قسوتها عليها، بعد أن ضاعت زهوة شبابها في محطة الانتظار، وقد أتعبتها السنين، واقتربت من سن اليأس، فتعضّ أناملها ندماً وحسرة، لأَنها سارت في طريق شائك، نهايته سراب وحفر، وهذا جزاء مَن تخرج عن المألوف عند مَن يريد الزواج المشروع بخطاه المتعارف

عليها بين الأَشراف من بني البشر.

ولا أقصد من كلامي أن قلة المال والجاه هو نقص أو عيب في مكانة الرجل الخاطب، فكلنا وُلدنا في هذه الحياة عُراة، وأكُفّنا فارغة من الذهب والمال، ثم يمنّ الله على مَن يشاء، فقد قسَّم الأَرزاق بين عباده.

ولكن العيب في هذا الموضوع أن الخطوبة لم تكن صريحة وواضحة أمام أعين الأَهل، ثم اعتراها كثير من الكذب والخيال الزائف، فانتهت الخطوبة إلىٰ لا شيء، بل تتأثر سمعة الفتاة في مثل هذه الأَحوال الرديئة.

الأَدِلّة على صبر المرأة:

١ـ الرجل يسير مكشوف الوجه والرأس أمام المرأة، بل ما عليه إلاّ أن يُغطي ما بين السرّة والركبة فقط، أي: مكشوف الصدر والظهر والساقين بعكس ما تُبديه المرأة للرجل الأَجنبي، فكيف يكون انكشاف الرجل خطراً على المرأة، والإسلام سمح به علناً، والنساء تسير في الطرقات والشوارع والأَسواق وعلى شواطىء البحار.

صحيح أن الإسلام أمر المرأة بغض البصر، ولكن مَن يتحكم بالنظرة الأولى، ومَن مِنَ النساء تسير مغمضة العينين، لا أحد حتى الصحابيات اللآئي خاطبن الصحابة رضوان الله عليهم، وجهاً لوجه، وهنّ متأكدات من شخصية الرجل، مثل مُخاطبة المرأة لعمر رضي الله عنه، وكذلك مُناقشة كثير من النساء للخُلفاء الراشدين في بعض الأَحكام الشرعية.

٢ـ إن ستر المرأة لوجهها وباقي جسدها يدل أنّ هناك خطراً عليها من الرجال، أي أن الفطرة الجسدية والعقلية للرجل أكثر إثارة من خلال النظرات العشوائية أو المتعدِّدة، وهذا يُفنّد ما يُشاع عن المرأة أنها تملك أضعاف شهوة الرجل.

٣ـ إن الرواية التي وردت في السيرة النبوية عن أحد الصحابة حينما كان رديفاً لرسول الله ﷺ في طريق الحج، وأمعن النظر في وجه المرأة التي تسأل رسول الله ﷺ عن بعض أحكام الحج، حجب الرسول ﷺ وجه الرجل عن المرأة، ولم يأمر المرأة بشيء، علماً أن غض البصر مفروض على الرجل والمرأة معاً.

٤ـ إن الشائع والمعروف أن الرجل هو الذي يطارد المرأة ويتابع خطوتها وحركاتها، ويسير خلفها لإغوائها إن أراد التحرش بها، وليس العكس.

إن الله عزّ وجل هو المُشرِّع لعباده ولا يكلف عباده (سواء من ذكر أم أنثى) فوق طاقتهم شيئاً، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولو تمعنّا في أحكام المرأة التي وردت في القرآن الكريم، وفي السُّنَّة المطهرة لتبين لنا أن المرأة تتحمل ما لا يطيقه الرجل في موضوع الجنس، وإليكم بعض الأدلة الشرعية:

٥ـ في حال وفاة المرأة: يحق للرجل الزواج في أي وقت يختاره، في حين تُمنع المرأة شرعاً من الزواج إلاّ بعد مرور أربعة أشهر وعشرة أيّام.

٦ـ في حالة الطلاق: حكم المرأة أن تبقى ثلاثة قروء قبل الزواج لاعتبارت كثيرة، منها: براءة الرحم من أي حمل، ومنها إعطاء فرصة للرجل للعدول عن رأيه إن أحب، في حال أن الباب مفتوح أمام الرجل للزواج قبل وبعد الطلاق، وليس هذا مُهماً، ولكن المهم هو المدّة

الزمنية التي صبرت المرأة فيها دون زواج.

٧ـ المرأة لو طُلقت أو تُوفي عنها زوجها وهي حامل، حتى ولو كانت في الشهر الأَول من الحمل، أوجب عليها الشرع الابتعاد عن الزواج تسعة أشهر، أو حتى تضع حملها.

٨ـ إن الغالبية العُظمى من النساء لا يقدمنَ على الزواج في مثل هذه الأَحوال، حتى ولو انقضت عدّتهن، وذلك لاعتبارات كثيرة منها:

أ ـ حياؤها من الناس.

ب ـ الرغبة في تربية أولادها إن وُجدوا.

ج ـ براً لزوجها لشدة حبها إيّاه.

علماً أن كثيراً من الرجال تزوجوا بعد أسابيع فقط من وفاة زوجاتهم، ولا أقصد أن هذا عيب أو حرام، ولكني أؤكد أن طبيعة المرأة في هذا المجال مُغايرة لطبيعة الرجل، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦].

٩ـ إن المدة الزمنية الأطول التي تمنع المرأة من الزواج هي ما فُرض على نساء النبي ﷺ بصفتهن أمهات المؤمنين، فمنعهن من الزواج، وكان بعضهن رضي الله عنهن لم يبلغن العشرين مثل عائشة، أي أنهن يستطعن التحكم في شهواتهن تنفيذاً لأَوامر الله سبحانه وتعالى.

١٠ـ يتعمّد كثير من الكتّاب قديماً وحديثاً اتهام المرأة في قصص خيالية واهية على أن المرأة وراء كل جريمة خُلقية، وأن الرجل هو الضحيّة المسكين.. مثل: قصة (عطيل) لشكسبير، باسم خيانة امرأة لزوجها، وكذلك قصة الكاتب الروسي (دستوفسكي) التي يتهم المرأة بالخيانة، وبعض قصص نجيب محفوظ الخيالية التي تُبدي أن المرأة

طاغية، وكذلك قصة روميو مع جولييت المليئة بالأَكاذيب عن المرأة.

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أصدق منهم جميعاً، فقد دافع عن المرأة طوال حياته، وحتى في خطبة الوداع التي أكمل بها ديننا العظيم.

١١ـ إن الأَحكام الشرعية في القرآن الكريم والسُنَّة المُطهرة بما يخص الحدود هي سواء للرجل والمرأة، لا تزيد ولا تنقص مثل حد زنا المُحصن الرجم وغير المُحصن مائة جلدة.

لكن النزعة الجاهلية والقَبَلية لدى كثير من الناس حيث يُحمّلون المرأة المسؤولية كاملة، ويُشيرون إليها بالعار والعهر، ويُسارعون لقتلها، ويتركون الرجل رافع الرأس، كأنه لم يقم بأي ذنب.

هذا ظلم يأباه الإسلام الذي قام على العدل بين جميع الخلائق.

المرأة والزنا:

١ـ لقد لفت انتباهي صورة لمجموعة من النساء يتظاهرن في إحدى مدن الولايات المتحدة الأَمريكية، ويُطالبن بإغلاق نوادي الليل، لأَنهن حُرمن أزواجهن، أو حُرمنَ الزواج، لأَن الرجال يجدون حاجتهم في هذه الأَماكن.

٢ـ كما هو معروف الآن لدى جميع دول العالم الكارثة التي حلّت عليهم بسبب الزنا، وهو مرض (الإيدز) الذي ينتشر عن طريق الزنا، أو الاتصال غير الشرعي والشاذ، وقد حرّم الإسلام الشذوذ، ووضّح في آياته الكريمة سوء عاقبته، وعقابه على قوم لوط... وغيرهم منذ ألوف السنين، أي قبل اكتشاف العالم لمرض الإيدز بقرون، فما أعظم ديننا الحنيف.

٣ـ انتشار الزنا يُسبِّب كثرة العوانس بين النساء، وذلك لأَن الزناة من الرجال يُحققون ما تصبوا إليهم أنفسهم، (والعياذ بالله)، مع قلّة من النساء فقط.

٤ـ الزنا أو الخيانة الزوجية معول يهدم الحياة الأسرية المبنيّة على المحبة والشرف والصدق، وغالباً ما يكون سبباً لطلاق كثير من النساء.

٥ـ الزنا إن كان من طرف المرأة يجعلها تعيش كل حياتها في حيرة وحسرة، ولو كان الزنا لمرة واحدة، فلا بد أن يؤنبها ضميرها وشعورها، وكذلك الرجل الذي يعرف معنى العرض والشرف.

٦ـ إن وقوع المرأة في الزنا مع رجل أجمل من زوجها، له طبيعة زوجها، يوقعها في مأساة وأفكار نفسيّة مَرَضيّة، تُرافقها طيلة حياتها.

٧ـ إن وقوع الرجل في الزنا مع امرأة أجمل من زوجته، أو لها طبيعة جسدية تفوق طبيعة وشكل زوجته، ينقلب هذا الزنا على الزوجة بالعذاب والويل والكره الدائم، وقد تكون الزوجة أجمل من الزانية بكثير، لكن الشيطان يُبديها كأنها قمر الزمان، وهي لا تصلح أن تكون زوجة أصلاً، ولو وجدت من يضعها على عصمته بالحلال لما اقتربت من الزنا.

٨ـ الزنا (والعياذ بالله) يخلط الأَنساب، ويحرم الأَولاد معنى الرحمة والحنان المفروضة على الأَبوين.

٩ـ لقد أثبتت السجلات الجنائية في المحاكم ومراكز الأَمن في جميع دول العالم أن الزنا كان السبب المُباشر وراء قتل عشرات الألوف من الرجال والنساء والأَطفال، وإن عدد الذين قُتلوا بسبب الزنا من المسلمين أكثر من عدد المجاهدين الذين قُتلوا على أبواب القسطنطينية وغرناطة والقدس.

١٠ـ الزنا يُفرّق الأَولاد عن أبويهم، ويتركهم عالة على المجتمع، يتسكعون في الشوارع والأَزقّة، وينهي حياتهم كمُتسولين أو نشّالين والعياذ بالله.

١١ـ إن الأَموال التي تُصرف بسبب الزنا، أو بسبب العلاقات المُحرّمة والدعارة، كما نقرأ أو نسمع في الصحف والمجلات والأَخبار العامة تُعد بالبلايين من الدولارات، وهي كافية لدعم عملية الزراعة والصناعة في الأَراضي الإسلامية، والقضاء على الجوع الذي يودي بملايين الأَطفال للموت المُريع.

١٢ـ لقد توعد الله للزانين بالفقر والمرض وانقطاع المطر، وقبل هذا وذاك غضب الله عزّ وجل عليهم وأعدّ لهم في نار جهنم العذاب الأَليم.

إن أثر الزنا على المرأة أكثر من أن يُعد، ووباله ومصائبه تُصب على رأس المرأة أكثر من الرجل، لأَن طبيعة تكوينها الجسدي هو الذي يحمل الوزر في أحشائها بأولاد الحرام، أو فقدها لأَمان عفتها إن كانت بكراً. ولأَن عاطفة المرأة وطيبة قلبها يجعلها تُصدّق الذئاب الغادرة، ثم تعض أصابع الندم يوم لا يفيدهاالندم.

مُضايقات النساء

إن الطُرُق التي يسلكها المُخادعون للدخول إلى قلب المرأة كثيرة ومُتعددة الجوانب، وليست صعبة على مَن باع ضميره، وابتعد عن دينه، ولن تكون عسيرة على مَن ينسى أن له أماً أو أختاً أو بنتاً قد يُمتَحَنون في أمثال الموقف الذي سلكه ولدهم، أو أخوهم.

ولكن هيهات هيهات، لمَن لا يدري معنى الشرف والمروءة، ولمَن فقد الغيرة على عرضه، فإن لم يكن به مسّ في عقله فالنار أولى بحرقه، بل صناديق القمامة أفضل مرتع له، فليس لمثل هذا المكان في المجتمع المسلم الواعي.

وهنا نتساءل:

ما هي الطرق التي يسلكها المُخادعون؟ وما هي الأَساليب التي يلجؤون إليها؟ فنقول:

١ ـ التظاهر بالمساعدة:

قد يُقدِّر الله على امرأة أن تفقد زوجها في وقت مُبكر، وهي ما زالت في سن الشباب، فيتصل بها، أو يُلاحقها أمثال هؤلاء المحتالين ويقول لها مثلاً: لقد شعرت بمُصيبتك، وكاد قلبي يتقطع حزناً على زوجك، فهل لي أن أتشرف بمساعدتك في أي شيء تطلبينه مني.

فإن انصاعت له وسايرته في الأَمر، انتقل معها لمرحلة الدرجة

الثانية، وهي تفقد أحوال البيت والأَولاد، ويتدرج بالحديث من باب المساعدة إلى الشيء الذي أتى من أجله.

فإن وقعت ضحيته بين أنيابه قضى ما يريد منها، ثم تركها بعد أن زاد جراحها ومصائبها، دون أي رادع خُلُقي، لأَنه بعيد عن الأَخلاق بُعْد السماء عن الأَرض.

إن مساعدة الأَرملة شيء طيب يؤجر عليه المسلم، وقد أمر الله به، ووصّى به نبينا محمد ﷺ، فقال: «الساعي على الأَرملة والمسكين، كالمُجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر».

ولكن لهذه المساعدة طُرُقاً معروفة وأبواباً مفتوحة، من غير خداع ولا غدر، فصاحب النية الطيبة يطرق باب وليها، أو جارها علناً، أو يرسل زوجته، أو أخته، أو يُراجع الجمعيات الخيرية بأمرها، وإن أراد الزواج منها، فللزواج أُسس وأعراف تضمن حقّها المادي والمعنوي، أمام الناس، وفي حدود الشرع والقانون، وهو الأَمر الذي شرّعه الله لعباده.

٢ـ إبداء الإعجاب:

قد يحصل أحد الشباب المُتهورين على رقم هاتف منزل إحدى الفتيات، فيتصل بها في المرة الأولى بحجة أنه أخطأ، أو يسأل عن أحد أقربائها، فإن تجاوبت معه بالمخابرة فقد انفكّت العقدة الأولى أمامه.

ثم يُبادرها بالكلام، فيقول لها مثلاً: اسمعي يا فُلانة، إنني لا أستطيع أن أُخفي ما في قلبي، والله... إني مُعجَب بك جداً، وأُقسم لك.. أنني أحبك أكثر من أبي وأهلي، فتقول له ضحيته مثلاً: ما الذي يدعوك للإعجاب بي، فأنا بنت عادية جداً، وجمالي متوسط،

فما الشيء الذي يجعلك تقول هذا الكلام؟

فيقول: والله إني مُعجب بأخلاقك السامية والإنسانية فكلك رقّة وذوق.. متى درستَ أخلاقي وعرفت كل هذا عنّي؟.. فيقول لها: سأقول لك فيما بعد... المهم، أنا معجب جداً بجمالك، فما رأيت أجمل منكِ بحياتي، فأنتِ كالبدر في تمامه، فلو جلستِ مكانه لأَضاءَتِ الدنيا بنور وجهك الفتّان... ويُتابع هذا المحتال وصف ما هو مفقود عند ضحيته لتأكيد كذبه وخداعه.

وتمر الأيام على هذا الكلام الساحر، وتكتشف هذه الفتاة أن هذا الكلام نفسه، ردّده لصديقتها، بل زاد عليه، ويتبيّن أيضاً أن أمه خطبت له بنت عمه وسيكون عرسه بعد أيام، ولكنه يريد أن يتدرب على الحب والغرام مع بنات الناس، فهذه القصة عبرة.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

٣ـ المراسلة:

للرسائل دور كبير في التأثير على حياة المُراهقين، فعندما يحصل الشاب على عنوان إحدى البنات عن طريق المجلات، أو عن طريق أمثاله من الشباب المُتسكعين، يُبادر بكتابة الرسائل العاطفية الرخيصة، وإن فرغت جعبته من الكلام الرقيق، فما عليه إلاّ شراء أحد كتب المراسلة من المكتبات، ويزيد عليها ما يسمعه من المذياع آخر الليل، وينهيها بأبيات غزلية من كتب الشعر المُتنوعة، مدّعياً أنها من تأليفه لها، ثم يرفق الرسالة بصورته القديمة عندما كان شاباً وسيماً، أو قد يضطر لإرسال صورة أخيه إن كان في وجهه بعض الخدوش، علماً أن جمال الرجل في هيبته ووقاره، وليس في نعومة وجهه، فنعومة الوجه تُركت للجنس اللطيف.

وخلاصة القول: إن من يريد الخطوبة والزواج، فأبواب من رزقهم الله البنات مفتوحة للأَشراف، فلماذا التطويل واللف والدوران على عباد الله؟

٤ـ أساليب الباعة:

ذَكَرَ أحد البائعين في متجر مُخصّص لبيع الأَلبسة النسائية، وهو مُتديّن: لقد فكرت في تغيير محلّي لقلة الزبائن عندي، ولكن جاري فاسق يشدني إلى الطريق الذي يحرك البيع.

قال: إذا كان عندك بعض الأَثواب غير رائجة فقُل للزبونة أنتِ بيضاء يصلح لك هذا اللون، وإن كانت سمراء قُل لها الكلام نفسه، وإن كانت بدينة فأعطِها تنورة وقُل لها هذه تُنحفك، واسألها ما هي الوجبة المُفضلة لديها، فإن تجاوبت بالحديث فحرّك المسجّل على أغنية (إنت عُمري.. مثلاً)، لعلّ مشاعرها تتحرك نحوك، فإن ابتسمت وضحكت، فخُذ رقم هاتفها وقدِّم لها هدية، وقُل: لا تلبسها امرأة أجمل منكِ، واطلب منها أن تتردد دائماً على المحل، وتُحضر معها مَن تعرف من صديقاتها، هذه هي التجارة يا أهبل، وليس كما أراك، كلما حضرت امرأة تقول لها: استري يديك، وإذا ضحكت تُذكرها بالله، وما لي أراكَ لا تُطفىء المسجل، وهو يصدح بالتواشيح الدينية، فهذا يُدخل الخشوع على قلب الزبائن، فتقيّد حريتهن، فبعض النساء تركن البيوت، وحضرن للأَسواق للتسلي، وليُمتعنَ النظر في وجوه أهل الأَسواق، والدليل على كلامي أنني أعرف كثيرات يأتين يومياً ويذهبن دون شراء.

والدليل الثاني: انظر إلى أصحاب المحلات الكبيرة والراقية، وقد وظّفوا عندهم شباباً حسان الوجوه، يهتمون بأناقة ثيابهم وأجسادهم

وتصفيف شعرهم، وكأنما عندهم زفاف كل ليلة، يُحادث أحدهم النساء، وكأنه أخوها، ولو عادت إلى البيت وطرق الباب ابن عمها لخفضت صوتها وكأنما تحدثه من العناية المركزة في أحد المشافي، ونسيت ما فعلت بالسوق، والله عزّ وجل.

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ [طه: ٧].

أجابه صاحبنا المسكين: أنتَ أهبل، ليس مَن يُحافظ على شرفه كالذي يبيع عرضه مع الثياب، افترض أن لك أختاً لم تجد طلبها عندك، وجاءت إليّ، فهل ترضى أن أقول لها ما علّمتني إيّاه؟

احمرّ وجه جاره، وقال له: لا تتكلم عن أختي، ولا أسمح لك أن تمس عرضي، فوالله لو رأيتها معك على هذه الحالة لقتلتها وقتلتك.

أجابه جاره: ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إنما المسلمون أخوة»، وأوصانا أن نُحافظ على عرضنا ومالنا وديارنا، ومَن يعتدي على أعراض الناس ربما يقع في المصيبة نفسها، ألم تسمع قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

مَـنْ يَـزْنِ يُـزْنَ بـه ولـو بِجِـدَارِه ... إن كنـتَ يـا هـذا لبيبـاً فـافهمِ
إن الـزنـا دَيـن فـإن أقـرضتـه ... كـان الـوَفا مـن أهـل بيتِـكَ فـاعلـمِ

قال له جار السوء: دعني الآن من نصائحك... قال له سأدعك أنت ومتجري، وأسأل الله أن يبدلني خيراً منه، وأن يهديك طريق الشرف والرشاد.

هذه صورة من مآسي أسواقنا، ولا أُعمِّم على الجميع، ولكنها للأَسف أصبحت مظهراً معروفاً ومألوفاً في مجتمعنا.

٥ـ الاختلاط العائلي:

تدرجت بعض العائلات (التي تعتبر نفسها تقدمية) على السهرات المُختلطة بين النساء والرجال، ولهذه الظاهرة آثار سلبية خطيرة، كانت السبب المُباشر في كثير من الجرائم الأَخلاقية وحالات الطلاق.

ولنُلقِ الضوء على هذه الظاهرة من خلال بعض الحالات الواقعة فعلاً، ولن أذكر أو أُشير إلى أسماء معينة، إذ قد تقع أمثال هذه الحالة في أي بلد في العالم:

١ـ إن اختلاط الرجال بالنساء غير المحارم بشكل سافر، يترك العنان للرجل للنظر إلى غير زوجته، وربما تكون مَن تجلس أمامه أجمل من زوجته بكثير، وخاصة في مثل هذه السهرة حيث تكون المرأة قد زيّنت وجهها بأجمل وأثمن أنواع المكياجات، ووقفت أمام المرآة فترة طويلة لتتأكد من تصفيف شعرها، لتُثبت للحاضرين أناقتها ورقتها، مُرتدية ثياباً زاهية، لتلفت انتباه الحاضرين، وتُحرّك مشاعر الخُبثاء، عندما تضع أحد ساقيها فوق الأخرى، تتناسى أو تتعمد إرجاع ثوبها قليلاً إلى الأَعلى.

٢ـ إن أجسام النساء مختلفة فهناك الطويلة والقصيرة، والبدينة والنحيفة، وذات الشعر الأَسود أو الأَشقر، فمَن كانت زوجته بدينة ينظر إلى المرأة النحيفة يُراقب رشاقتها وخفّة حركاتها، وكأنها عود الخيزران، وينظر إلى زوجته نظرة ازدراء.

٣ـ إن لهجة الكلام وطريقة الاسترسال في الأَحاديث مختلفة بين النساء، وفي مثل هذا الاجتماع غالباً ما تريد المرأة من رقة كلامها، وخفة دمها، ودماثة محياها، أن تفتش على من يكون شريك حياتها، وتنسى أن زوجها بجانبها، فلم تعد تهتم به بعد أن رأت أمامها شاباً

كأنه غصن البان، يُقلِّب النظرات معها، ويُبادلها الأَحاديث العاطفية، ويسألها عن رأيها في الحب، وعن عطرها المُفضّل، ومَنْ مِنَ الممثلين والمطربين يعجبها، ليُحضر لها الشريط في السهرة المقبلة، حتى تتذكره كلما سمعت الشريط، ليعيش في خيالها.

لقد أصبحت في غفلة عن زوجها، وضاعت بين أحلام الخيال والغرام، تطلب العودة إلى الحب العُذري، بعد أن أنجبت عدّة أولاد، وتغيّر جسمها كله من جرّاء الحمل والولادة، وصارت أكعابها كأكعاب العجائز، فلم يَعُدْ يفيدكِ أيتها المغرورة حزام المشد، ولا صبغة الشعر ولا بنطال الجينز.

ليس لكِ أيتها المغرورة إلاّ زوجك وأولادك وبيتك الذي يسترك، ولن يصح إلاّ الصحيح، فزوجك هو لباسك وأنتِ لباسه، وهو الذي يضفي عليك الوِدّ والحنان، فكوني له أرضاً يكنُ لك سماء، فكل ما فعلته وما تنتظرينه هواجس سخيفة ومكشوفة، فاحذري وابتعدي عن طريق الضياع، وراقبي ربك في السر والعلانية، لتبتعدي عن طريق الهاوية، فطاعة ربك تجعلك ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٢/٢٣].

خير من قشور زائلة، وأحلام خائرة، أساسها الضلال والمعصية.

فهذه دعوة لكل مَن تريد طريق السلامة والسعادة، ولكل مَن تريد أن تنام قريرة العين، مرتاحة البال والضمير، أن تبتعد عن طريق المُخالطة السافرة.

٤ـ لقد جُبلت النفس البشرية على حب التغيير والتجديد، من أجل ذلك وضع الإسلام ضوابط كثيرة لحفظ التوازن الاجتماعي لكل أمور الحياة، ومنها تحريم الاختلاط السافر الذي يجلب الفتنة، ويُوقع الضغينة بين الرجل وزوجته، لاختلاف الرجال والنساء في أشكالهم، وألوانهم، وأمزجتهم.

فحرصاً من الإسلام أن لا يقع أحد الطرفين في مثل هذه المطبّات المنغّصة، علّمنا كيف نبتعد عنها قبل الوقوع فيها، فالأدلة والقصص الواقعة من مآسي الحياة كثيرة، كلها تؤكد هذه النظرية أو هذا الأَمر الإلّهي، ونكتفي ببعض القصص الواقعية في حياتنا المُعاصرة:

القصة الأولى:

حدّثني أحد الموظفين في المحكمة الشرعية عن قصة سُجّلت لديهم، وهي: أن أحد المواطنين حضر إليهم، يحمل معه تقريراً طبياً يؤكد أنه عقيم، وقد أرفق التقرير بكشف التحاليل المادة المنوية لديه، يثبت أنها خالية من الحيوانات المنوية، أي استحالة عملية الإنجاب لدى زوجته عن طريقه! ماذا يفعل، وقد حملت زوجته، وأنجبت ثلاثة أولاد... لقد طلّقها مُباشرة، وأرسلها إلى أهلها، استدعى أخاها الكبير، وأخبره بالقصة، فما كان من أخيها إلاّ أن أخذ مسدسه ووضعه في رأسها.

اعترفت لأَخيها أنها حملت المرات الثلاث من جارها الذي كان يسهر معهم دائماً هو وزوجته، وكانوا مثل الأَهل، فكيف حدث ذلك؟

لقد استدرجها جارها إلى بيته، بعد أن ضرب زوجته، دون أي ذنب، وأوصلها إلى أهلها، ليُتاح له بيت خالٍ من أيّة رقابة، غير مراقبة الله سبحانه.. فكان ما كان.

القصة الثانية:

وهي تدور حول صديقين كانا يسهران مع زوجتيهما مختلطين، فوقع أحدهما في شباك زوجة صديقه، وأخبرها أن تفعل المستحيل لتُجبر زوجها على طلاقها، ودلّها على طريق الشر، وشرح لها تفاصيل السُبُل التي تُنفِّر زوجها منها، مثل امتناعها عن فراشه، وعدم التطيب والتزين أثناء الليل، وتأخير طعامه، وزيادة الملح فيه، وأن لا تنصاع لطلباته ورغباته.

ونجحت الخطة، ولكنه نجاح مُرّ، فقد طلّقها زوجها، ولكن صديقها الذي وعدها بالزواج اعتذر في اللحظة الأَخيرة، بحجة أن ظروفه أصبحت صعبة، إذاً ماذا كان يريد منها؟... لماذا هدم حياتها مع زوجها؟.. كل الذي كان يريده هو الخيانة.

وحاولت المسكينة العودة إلى زوجها دون جدوى... قال لها: لقد فهمت كل تحركاتك فمَن تبيع زوجها مرة تبيعه مرات عديدة، ولا أعتقد أن النساء من أمثالك الائي يخنّ أزواجهن وأولادهن يستحقنّ الرحمة... فاذهبي إلىٰ مزابل التاريخ، لتكوني درساً لغيرك من الخائنات.

القصص في هذا الموضوع كثيرة، وهناك قصص معاكسة، أي الزوج باع زوجته، أي باع ضميره بعد أن أُعجب بإحدى الفاسقات في سهرة رأس السنة، وهيهات للضمير أن يعود.

لقد اقترب من إحدى المدعوات، وهمس في أذنها في غفلة عن أبيها: أريد محادثتك غداً ليلاً، انتظري جرس الهاتف بعد الساعة الواحدة ليلاً... قالت له: إن والدي ينام من الظهر إلى العصر ولا أحد غيري يرد على الهاتف... وتمت المُحادثة بينهما، والأَب

نائم، وقد نسي أن ابنته قد بلغت العشرين عاماً دون زواج، وبجانبها الأَفلام والهاتف، ولم يُربِّها على تعاليم الدين المُطهّر، بل كان يُزينها ويأخذها معه لسهرات الرجال.

لقد اتفق الخائن مع البنت على خطة حقيرة، وهي أن يُطلِّق زوجته دون أي ذنب، مقابل أن تُقنع أباها بالزواج منه، وتشرح له حُسن خُلقه وأدبه وشهامته، لقد تمّ الطلاق فعلاً من زوجته الفاضلة التي ترفض السهرات العائلية، والزواج من البنت المُزخرفة، فماذا حدث؟

بعد أول اغتسال لهذه العروس غسلت المياه الحارّة صبغة الشعر ومسحت زينة الكحل والحمرة، فتبين أن زوجته الأولى أجمل منها بكثير.

هنا بدأ عقله يعود إليه رويداً رويداً، ويتضح له أن الأُولى دون زخارف، لقد كانت فعلاً جميلة دون تصنّع، ويُعاود الذكرى لمُحياها... عيناها عسليتان، يعلو وجهها الأنس والبراءة، سمراء اللون وقلبها أبيض من الثلج... يا ويلي ماذا فعلت بنفسي؟

اتصل بأهل زوجته الأُولى فاستغربوا ليعتذر عمّا فعل، لقد قبلوا اعتذاره وشكروه، فطلب الحديث مع حبيبته الأُولى ذلك منه، وقالوا له: أما علمت بزواجها من فلان منذ شهر... لقد شعر أن قلبه تقطّع من الأَلم، وأجهش بالبكاء، لكن نحيبه لن يُنقذه... لقد حصل على رقم هاتفها فاتصل بها، وكلّه أمل أن لا تُخيّب رجاءه، وتعود إلى ما كانت عليه، حبيبة قلبه، وأُنسه في فرحه وترحه، سنده في ليله ونهاره، في فقره وغناه...

ألو... مَن يتكلم؟ أنا... زوجك الأَول، لن أبيعك بالدنيا... طيّب خُذ كلّم زوجي إنه بجانبي... ارحمني أيها الأَخ أريد أن أعود إلى زوجتي، إرحم عذابي وبُكائي... إذا كنت لا تبيعها بالدنيا، فأنا

لا أبيعها بالدنيا وما عليها، إنها رائعة في كل شيء، ما وجدت أعذب من حديثها، ولا أرق من شعورها، إنكَ حقاً مجنون، كيف فرطت في مثل هذه المرأة الفاضلة؟ والله إن نظرة إليها حين ذهابي وعودتي من عملي، تُنسيني همّي وغمّي... كفى، لقد زدت جراحي وخدشتَ ضميري... وهل يملك الضمير مثلك؟ إذا كنتُ أنا قد خدشت ضميرك، فأنتَ ذبحتَ شعور زوجتك الأولى عندما رميت بها دون أدنى شعور منك، وهل تسعد المرأة أيها الغافل بالزواج مرتين، كلا إنها تشعر بالإهانة والحَرَج عندما تتكشّف على رجلين، بل ينتابها الخجل والحياء من صديقاتها، وربما كان الموت أسهل على المرأة من أن تسمع كلمة (طالق) التي يهتز بها عرش الرحمٰن.

وينهي هذا المغرور المخابرة بعد أن انقطعت به السُبُل وفقد الأَمل، لقد ضاع أغلى ما كان يملك بمحض إرادته فداءً لليلة زائفة شرب فيها كأساً، واستبدل فيها درهم الذهب بالدينار المُزيّف، فليتحمّل جريرة غروره وطعمه، وهذه القصة عبرة لكل عاقل يتعلّم من خطأ غيره، ولا يكون أحمق يتعلّم من خطئه.

لماذا الحمو الموت؟

إليكم هذه القصة الواقعية التي سمعتها من أحد المُحققين في إدارة الأَمن:

أخوان ليس لهما ثالث من أبويهما، يعشان في بيت واحد، وكم من الليالي الطويلة يسهران حتى منتصف الليل، وهما يسردان على بعضهما القصص الخيالية، فتتعالى ضحكاتهما، فيطرق الباب أبواهما يطلبان منهما الكف عن الكلام والضحك، فيحبسان الضحك ويتهامسان تحت اللحاف، ينتظران غاشية النعاس.

وبقيا على هذه الحالة سنوات الطفولة والمُراهقة والشباب، لا يستغني أحدهما عن الآخر، لأَن تعلقهما كتعلق الجسد بالروح، فما تركا بعضهما في نزهة أوسفر، وفي صباح كل يوم يتبادلان القبلات قبل الذهاب إلى الجامعة، ويصعب عليهما ساعة واحدة لسماع المحاضرة في الكليّة، فتعمد الأَخ الأَكبر الرسوب ليكون في العام القادم مع شقيقه، حتى لا يخسر لقاءه هذه الساعة. وتمر الأيام ويمنّ الله على الأَخ الأَكبر بالزوق الوفير والبيت الواسع، وقد فشل أخوه الأَصغر في الحصول على وظيفة، أو سبيل عيش كريم، فالله هو الذي يُقسِّم الأَرزاق بين عباده.

أعطاه أخوه الأَكبر غرفة جانبية في بيته، وأوصى زوجته أن تعامل أخاه مثل معاملته تماماً، وقال لها: هذا أخي، كل ما أملك هو في تصرفه، وتحت أمرته، لا تُطعميني لقمة واحدة قبل أن يشبع، إيّاكِ أن تُشعريه أنه ضيف أو تُحرجيه في شيء، لا تضعي على رأسك غطاء منه فأنا واثق به كما أثق بنفسي.

ويذهب أخوه الأَكبر إلى عمله المُتراكم، وأحياناً لا يعود إلاّ في آخر الليل، حاملاً معه كل ما تشتهيه النفس من متاع الدنيا وطعامها، وأول ما يسأل عن أخيه، إيّاك أن تجرحيه بكلمة واحدة، فطلاقك أهون من دمعة تسيل من عين أخي... لكن التفاهم بين زوجته وأخيه كان على أكمل وجه، حتى روت له أسرارها الجنسية مع أخيه، وأخبرته أنها تحبه أكثر من أخيه، وأنها كانت تتمنى أن يكون هو زوجها، لأَن زوجها عصبي المزاج، أسمر الوجه، وأنتَ أيها العزيز أبيض هادىء ومُبتسم، أشعر معك بالاطمئنان والراحة... وما الحل يا زوجة أخي... التخلص من أخيك ولك ما أملك هو لك... وقد حصلت الكارثة كما يلي:

طلب الغادر من أخيه أن يذهب معه في نزهة بالسيّارة إلى خارج البلد، فلم يتأخر أخوه في تلبية طلبه، وارتدى ملابسه بسرعة، وقال له: تأخر فأنا في خدمتك... وبعد أن ابتعدوا عن معالم البلد قليلاً، طلب منه الخروج إلى طريق تُرابي لمعرفة أين يؤدي هذا الطريق، وبعد مسافة كيلو مترٍ واحد في الطريق التُرابي أفرغ الأَخ الأَصغر في بطن أخيه الأَكبر ثلاث رصاصات أودت بحياته، وقال له أخوه قبل أن تزهق روحه: يا مجرم اسعفني، أنقذ حياتي، لماذا أطلقتَ عليَّ الرصاص؟ ماذا أخطأتُ معك، أنا أخوك، روحي وعيوني لك... أجابه الغادر... مُت مكانك... أرجوك يا أخي إن كنتَ مُصرّاً على عدم إنقاذي، فأُوصيك وأرجوك، إن زوجتي حامل، اعتنِ بها وحافظ عليها واحترمها، أُوصيك بها خيراً، وإن ولدت فربِّي ولدي تربية طيبة... يا أخي قبل أن ألفظ أنفاسي الأَخيرة لا تُبلِّغ الشُرطة بما فعلت حتى لا نموت كلانا... ثم لفظ أنفاسه الأَخيرة، وقضى نحبه.

وعاد الغادر إلى البيت يُبشر زوجة أخيه أن زوجها أصبح في عِداد الموتى حتى تطمئن، وأقسم لها أنه سوف يكون لها عبداً مُطيعاً يُلبي لها كل ما تُريد.

لكن الغادر، يبقى غادراً لقد أصبح المال بين يديه كثيراً، وركب سيّارة المرحوم، متفاخراً بها بين أصدقائه وصديقاته، إلاّ أنه وقع في غرام إحدى الفتيات، ووعدها بالزواج واكتشفت زوجة أخيه أن شريكها في الجريمة يريد أن يغدر بها، ويتزوج غيرها، وتأكدت بعد أن سجلت لهما شريطاً وصلته بالهاتف، وسمعت بأذنها كلمات العشق والغرام، وكان يُقسم لصديقته أنه لا يحب غيرها، وأنه إن حظي بها وتزوجها سيكون عبداً مُطيعاً يُلبي لها كل ما تريد.

دخلت عليه زوجة أخيه وصارحته بما سمعت وأنذرته إن لم يبتعد

عن هذه الفتاة ويكون لها فقط دون سوف تُبلّغ عنه الشرطة... لكن رجال الشرطة لم ينتظروا بلاغها فقد راقبوا منزل المجني عليه بشكل جيد، ولم يعثروا من تحرياتهم على أي شخص له ثأر أو مشكلة مع المُتوفى، وكانت حركات القاتل تُثير الشك، فلم يبدُ عليه أي أثر لحزن، واستولى مُباشرة على مال أخيه، ومع هذا يحضر كل أسبوع إلى الشرطة يُهدّدهم إن لم يجدوا القاتل فسوف ينتقم... ويتوعد ويصرخ صراخ المشبوه، ومع ذلك ابتعدت الشرطة عنه قليلاً.

وفي إحدى الليالي المُظلمة قبضت الشرطة على المرأة، واعترفت بالجريمة وتفاصيلها منذ البداية.

يقول المحقق: والله لقد انتقمت منهما قبل وصولهما إلى القضاء، لا لشيء، ولكن لشناعة ما فعلوا، لقد حلق شعر المرأة وأسريت الكهرباء بجسدها مرات عديدة، عند ذلك شعرت أني تشفيّت منها قبل أن يصدر الحكم بقتلها مع شريكها في الجريمة.

المعاكسات الهاتفية

لقد انتشرت في عصرنا الحاضر ظاهرة المُعاكسات الهاتفية الممتزجة بالكلام الفاحش، والبعيدة عن سمات الحب والوفاء، وقد يقضي الشاب مع الفتاة الأَجنبية ساعات طوالاً، تاركاً خلف ظهره كل القيَم الشريفة، غير آبه بتربية خُلُقية، أو أعراف عائلية.

واللوم هنا يقع على الفتاة التي لم تُراع مشاعر أهلها، ولو كانوا من أفاضل الناس، ولم تحترم كلمة أبيها أو أخيها، وقبل هذا مُراقبة ربها الذي يعلم السر وما يخفى، وكثيراً ما تكون هذه المكالمات الهاتفية الضالّة سبباً مُباشراً في رسوب الفتاة أو الشاب، ثم ضياعهما فارغي الأيدي من أي مستويات اجتماعية.

إن الطامّة الكبرى تقع هنا على البنت، فهي الضحية دائماً بسبب العادات والأَعراف العائلية المُتبعة في وقتنا الحاضر.

وكما أسلفت فإن كثيراً من الرجال هم الذين يبدؤون بإغواء المرأة وإغرائها بأُمور ليس لها أساس من الصحة، فيُحدِّثها عمّا يملك من أبنية شاهقة، ومحلات كبيرة، ويُحدّد لها مكان شهر العسل في أُوروبا.. إلخ.

ثم تقع هذه المسكينة في شباكه، فيكسر كأس الغرام الزائف، ويُكشر هذا العاشق الكاذب عن أنيابه، فإذا به ذئب ضارٍ، فيُبادرها بالضرب والشتم.

وتكون هذه النهاية لكل فتاة تسير في طريق الخفاء المُظلّم دون الرجوع إلى أهلها، ونهاية لكل شاب يدخل من الشبّاك، والسبب كله في هذا هو بُعدنا عن طريق الدِين الحنيف، والعُرف المقبول بين الناس.

إن طريق الأَدب والحياء الذي أمرنا به الإِسلام هو دائماً لمصلحة المرأة، بل إنه يُعلي من مكانتها ورفعتها في أعين الرجل، ويزيد من تعلق مَن يريد خطبتها بهذه الصفات الطيبة، لأَنه يُقوِّي الثقة، ويُريح بال الرجل، من أي هواجس تنتابه في طريق الخطوبة.

سلبيات المُعاكسات الهاتفية:

١ـ بأي عقل ومنطق يرضى الشاب الشريف العفيف، أن يتزوج فتاة، تُحادثه على الهاتف، وكانت تصف له جمالها وتقاطيع جسدها.

إن شخصيتها تضعف أمام هذا اللص.

وليس اللص هو الذي يسرق المال فقط، فهناك لصوص الشرف،

الذين ينتهكون أعراض الناس للتسّلي، وإضاعة الوقت.

٢ـ هناك اعتقاد عند الشاب أن الفتاة التي تُكلِّم شاباً، فإنها تُكلّم ثانياً وثالثاً، ولو اتصل بها ووجد خطها مشغولاً، يقول: إن الخائنة مع شخص غيري، وربما تكون آنئذٍ مشغولة في محادثة أبيها أو أخيها، فأي حب وأي زواج يُبنى على هذه التهم؟

٣ـ إن الزواج الذي يُبنى على الاتصالات الهاتفية، كالبيت الذي يُبنى على أمواج البحر الهائج، لاعتبارات كثيرة، منها: إن رخصة البناء كانت غير نظامية أو مشروعة، ثم إن قواعد البناء بعيدة عن الأُصول والأَعراف المُتبعة، وأعمدة البناء خيال وأوهام وغدر، فهذا البيت الذي يُبنى على أمواج البحار لن يستقر إلاّ في قاع البحر، ليكون فريسة للحيتان الجائعة، أي: الشامتين من بني البشر.

٤ـ إن الطريق الصحيح للخطوبة هو عن طريق باب الأَهل المفتوح لجميع الناس، فإذا كانت البداية غير طبيعية، فغالباً ما تكون النهاية مثلها.

٥ـ إن العائلات الراقية والأَصيلة، وحتى المهلهلة، تكون الخطوبة عندها عن طريق النساء أولاً، ثم الرجال لتحديد الأُسُس الثابتة التي يُبنى عليها الزواج لحفظ حقوق الزوجين، وكل شاب واعٍ مُتمكن من عقله لا يرضى بغير هذا الطريق للوصول إلى برّ الأَمان.

ولو تمت الخطوبة عن طريق المُغازلات الهاتفية، تجد الشاب بعد فترة وجيزة من الزواج يلوم زوجته ويؤنبها، ويقول لها: لو لم تكوني ساقطة لما سهرت الليل معي على الهاتف

دون علم أهلك. . . وكأنه أخبر أهله واستأذن ولي أمره.

إن مثل هؤلاء الأَوغاد، يستغلون عاطفة الفتاة الصالحة، وطيبة قلبها، لسَحبها إلى مهاوي الردى، التي لا تُحمد عُقباها، فلا تكوني أيتها الفتاة مثل النعجة التي شردت عن طريق رفيقاتها، فضلّت طريق الشرف والعفّة والحياء، فضاعت بين أنياب الذئاب الغادرة.


قضايا معاصرة

الحجاب

الحجاب حماية للمرأة، يرفع شأنها ويُعزّز مكانتها، ويصونها من أيدي الدخلاء والمُستهزئين بها، ولقد رأيت في كثير من المحلات التجارية في لندن (التي تُعتَبر عاصمة الدولة العُظمى) صور النساء وقد وُضعت على رؤوسهن الأحذية للدعاية لبعض أنواع الأَحذية.

هل هذه مكانة المرأة التي كرّمها الله تعالى؟

أهذا هو حب النساء الذي يتحدثون عنه؟

إن الله سبحانه وتعالى خلقنا لغاية مُحدَّدة، وقد أمرنا بأوامر معلومة في كتابه الكريم وسُنَّة نبيه ﷺ، وقد هدانا النجدين، وأرشدنا رسوله الكريم محمد ﷺ إلى ما يُوصلنا إلى الجنّة بإذن الله تعالى.

وطُرُق الجنَّة صعبة وشائكة، فيها الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد بالمال والنفس، ومع ذلك جعل الرسول ﷺ هذه التي قطوفها دانية الجنة تحت أقدام الأمهات».

الله أكبر، تفكروا في مكانتكم، وما هي قيمتها، وما معناها، ثم احكموا ما شئتم على سماحة الإسلام.

واعلمن يا معاشر النساء أن التزام المرأة بعفافها وحجابها لا يصدّها عن رزق قسمه لها الله، ولا يحول بينها وبين خير كتبه الله عز وجل وإن دخول المرأة إلى الحياة وحجابها يزين رأسها وعفافها يزين قلبها

وروحها هو أدعى أن تؤدي الرسالة التي تطمح إليها.

ودليل ذلك قصة حدثت لفتاة مسلمة حصلت علىٰ المرتبة الأولى علىٰ ولاية فلوردا في امتحانات الثانوية العامة لعام ١٩٨٨، فيتصل بها مسؤول من البيت الأبيض يقول لها: تقتضي تقاليد الولايات المتحدة أن يقام احتفال سنوي في البيت الأبيض تدعىٰ إليه اثنتان وخمسون فتاة متفوقات وأنت مدعوة هنا إلى حديقة البيت الأبيض لتنالي التكريم من الرئيس الأمريكي على تفوقك، فتقول الفتاة: إنه يمنعني من الحضور إلى احتفالكم هذا ثلاثة أشياء: إنني فتاة مسلمة وإن الإسلام لا يسمح لي أن أسافر بدون محرم، وإني فتاة مسلمة وإن الإسلام لا يسمح لي أن أرتدي الزي التقليدي الذي تلبسونه عند توزيع الجوائز والشهادات نحن في الإسلام لنا حجابنا الخاص، وإني امرأة مسلمة لا أصافح الرجال.

تنتهي المكالمة عند هذا المقام، بعد أيام يعاد الاتصال بهذه الفتاة ويقال لها: قد أبلغنا رغباتك للمسؤول في البيت الأبيض وإن بإمكانك أن تحضري ولا تصافحي أحداً وبإمكانك أن ترتدي حجابك الذي يأمرك به دينك، وأما السفر فقد أرسلنا لك ثلاث تذاكر تسافرين مع أبيك وأمك.

وحين التقى القوم في حديقة البيت الأبيض، طاف نائب الولايات المتحدة حينئذ «بوش» بالفتيات يكرمهن، فوقف طويلاً عند الفتاة التي ارتدت حجابها وخمارها الإسلامي وانحنى أمامها ولم يصافحها، وقال: قد أبلغت أنك تتمسكين بدينك وإنه لا يملك أحد إلا أن يحترم تمسكك بدينك وأنا سعيد أنك ترتدين ما يأمرك به دينك، وهذه هدية أمريكا لك ونحن نعتز بك أشد اعتزاز.

قد يكون هذاالموقف ضرورة اقتضتها اللياقات الدبلوماسية، ولكن

٥ـ يجب أن نقف وقفات ونظرات مليئة ومتمعنة في الآيات التي تشترط العدل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء: ٣].

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

لن أدخل في شرح أو تفاصيل هاتين الآيتين، وأتركهما لضمير كل مَن يريد الزواج بثانية.

٦ـ لقد أحلّ الله الزواج بأكثر من امرأة لأُمور فيها عطف ورحمة للمرأة:

أ ـ حتى إن كانت الأُولى عاقراً، فالزواج بثانية رحمة بها، لأَنه أفضل من طلاقها وتركها.

ب ـ ربما تكون الأُولى مريضة مرضاً يكون حائلاً عن التمتع بها، فتبقى عنده مُعزّزة مُكرمة، وهذا من رحمة الإسلام بها.

ج ـ قد تضطر الزوجة الأُولى لإجراء عملية جراحية مثل استئصال الرحم، كما يقع لكثير من النساء عافانا الله وإيّاهم، والرجل لم يكتفِ بولد أو ولدين، وهناك أمور كثيرة يكون الزواج فيها من مصلحة الطرفين، لا يتسع الوقوف عليها الآن جميعها، وعلى كل الأَحوال لا يشترط الإسلام على مَن يريد الزواج بثانية أن تكون كما ذكرت، لأَن ما ذكرت ليس من الشروط وإنما من المُسبِّبات.

٧ـ إن طبيعة المرأة وفطرتها لا تمنع أن يكون للرجل أكثر من زوجة، والدليل على ذلك رضاء الثانية أن تكون ضرّة للأُولى، والثالثة ضرّة للثانية، والرابعة ضرّة للثالثة... وإلاّ لماذا قبلت النساء بالزواج مجتمعات، وهذا يؤكد أن التعدّد الذي أباحه الله للرجل أمر طبيعي، بل

ضروري في كثير من الحالات.

٨ـ من المنطق والحق والعقل أن يكون المتزوج بأكثر من امرأة مُنعماً وكُفأً، وذا قدرة مالية وجسدية نفسية عُقباه نفسية، حتىٰ لا يتعرض لمصائب وهفوات تنقله إلى مالا يُحمد عقباه، كما حصل لكثير من المُتزوجين، وحتى يستطيع أن يطيع ما أمر الله به، وهو العدل بين زوجاته في كل شيء في المأكل والملبس والمسكن، ما عدا الميل القلبي لأَنه غير مُتحكّم به لدى أي إنسان، ولا حتى مع الرسول عليه السلام.

٩ـ إن المرأة الواعية الذكية النشيطة والمُهذبة مع زوجها والتي تؤدي حقوقه كاملة وعلى أكمل وجه ما أظن أن زوجها يُعرِّض نفسه للمتاعب، وهو سعيد معها، فتكون إذاً هي السبب في زواجه، إن كانت عكس ما أقول.

١٠ـ إن الظروف الاجتماعية والسياسية للدول التي تتعرض للحروب، وتصبح فيها نسبة الإناث أكثر من نسبة الذكور، من الواجب على مَن يستطيع أن يستر على إحداهن، حتى لا يتعرضن للأَيدي العابثة والرخيصة، والفتنة يكون سببها تمنّع المرأة وأنانيتها، ولكن الأَفضل والأَكثر جداً في مثل هذه الحالة الخاصة أن يقوم المُستطيع بالتبرع، وتزويج العُزّاب، حتى لا تكون هناك فتنة وفساد كبير، ويكون بذلك ستر على رجل وامرأة معاً، فيتضاعف أجره بإذن الله. وقد طبّق هذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

نساء ذكرهن القرآن

لقد ضرب الله أمثالاً كثيرة في القرآن الكريم عن المرأة الصالحة والمرأة السوء، تستشف منها العقول السليمة دورَ المرأة في المجتمع، وأن الذي يعلي مكانتها فيه هو تمسكها بدينها وعفافها وأخلاقها، ولا شيء يشفع للمرأة إلا عملها الصالح.

وإذا قلبنا صفحات القرآن الكريم طالعتنا سورة التحريم بنموذجين للمرأة، نموذج يتحدث عن المرأة السوء التي عاشت في كنف الأنبياء، ونموذج يتحدث عن المرأة الصالحة التي عاشت في ظل أطغى الطغاة.

قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١١/ ١٢].

امرأة نوح

سيدنا نوح هو الحفيد العاشر لآدم عليه السلام وهو الذي حمل الرسالة وبدأ رحلة الإصلاح فأخذ يدعو الناس لترك عبادة الأوثان وترك العادات والتقاليد الفاسدة والمؤدية إلىٰ طريق جهنم فقال لهم:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح: ٢/ ٤].

واستمرت دعوة نوح سنوات طويلة دون جدوىٰ، فالناس قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشد قسوة، وسحبُ الغشاوة حجبت عيونهم عن الحقيقة فتمادوا في غيّهم حتىٰ يئس نوح عليه السلام من هدايتهم.

وأصاب نوحاً الحزن الشديد لما رآه من هؤلاء القوم الذين اشتد كفرهم ولكن...

أين كانت امرأته خلال هذا؟

لا أحد يعرف اسمها لأن القرآن لم يذكر اسمها، وكذلك التوراة لم تذكر اسمها.

لقد ذكرت في التوراة والقرآن بكلمة «امرأة نوح».

ولا شك أنه يصعب على الإنسان أن يرىٰ شريكة حياته ورفيقة عمره لا تقف بجانبه تشد من عضده وتسانده على أمره، وما أحوج نبي الله نوح لمثل هذا من زوجته التي لم ترعَ أنها زوجة نبي من أنبياء الله، فوقفت ضد زوجها مع الكافرين، ووصل بها الفجور والكفر إلىٰ اتهامه بالجنون أمام قومها لتنفي ما يقوله لهم:

﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ [القمر: ٩].

لكن مكانتها بأنها زوجة لنبي كريم لم تحل دون عذاب الله لها ولن يشفع ذلك لها من عذاب أليم، إنما جزاؤها جهنم وبئس المصير، حتى تكون عبرة لمن اتبعها من النساء.

ولم تكتف امرأة نوح بكونها كافرة بل تعدت ذلك إلى الإيذاء والسخرية من زوجها وتحريض القوم على الإضرار به حينما شرع في صنع الفلك لينجو هو ومن آمن معه من

الطوفان الذي سيعم البلاد.

ولما كانت امرأة نوح من الكافرات كانت من المغرقات بالطوفان ورفضت أن تركب السفينة، وكذلك رفض ابنه كنعان الركوب، وسجل الله حوار الأب وابنه:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٢/٤٣].

ولهذا الموقف دلالة واضحة، تدل علىٰ أنه ينبغي للرجل المسلم أن يحسن اختيار الزوجة، فقد قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا في الحجر الصالح، فإن العرق دساس».

لقد أبىٰ كنعان أن يتبع ملة أبيه واتبع أمّه فكانت عاقبته ما كان.

لقد كان لا بد لنا من ذكر مقتطفات من حياة نوح عليه السلام لتحديد مكانة تلك الزوجة الكافرة التي هي امرأته، ولمعرفة صغر شأنها بعد أن كرمها الله بأن كانت زوجة لنبي، لكنها رفضت التكريم وعارضت دعوة زوجها، ولم تكتفِ بالمعارضة بل أخذت تضلل من حولها، وبالتالي فقد تمزقت أواصر الأسرة وتفككت عراها، فخانت الله تعالىٰ بالكفر، والفسوق الذي اعتنقته، وبعبادتها للأوثان، وخانت زوجها بتكذيبها لرسالته ونبوته.

ولن يشفع لها كونها زوجة لنبي فقد قال تعالىٰ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨].

امرأة لوط عليه السلام

هكذا ذكرها القرآن زوجة لنبي كريم هو نبي الله لوط، لكن ذكرها هذا مضافاً لاسم هذا النبي لم يكن في معرض المدح والتشريف لأنها كانت المثال الثاني الذي ذكره الله وضربه للذين كفروا:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠].

ولكي نقف على دور هذه المرأة الخائن لزوجها نقتطف نفحات من حياة رسول الله ونبيه لوط عليه السلام.

كان لوط ابن أخي ابراهيم عليه السلام، فكان الخليل عمه، فهو ابن هاران. ولقد هاجر مع نبي الله من بابل إلىٰ حاران، وتزوج، ثم هاجر إلىٰ الشام واستقر في مدينة «سدوم» في الأردن.

ولقد كان أهل هذه المدينة لا مثيل لهم في الفسق والانحلال، قد انهارت عندهم القيم الأخلاقية بأكملها، وامتلأت مدينتهم بفعل المحرمات والشذوذ.

وبوصفه نبيٌّ من عند الله، بدأ لوط عليه السلام عملية الإصلاح الشاقة، وتبلغ رسالة السماء لهؤلاء العصاة فقال لهم:

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ٨١].

ولم يكفِ أهلَ «سدوم» الكفر والشهوات وارتكاب المحرمات، بل سخروا من لوط عليه السلام وعدوا عفته وطهارته وطهارة من اِلتفَّ حوله من المؤمنين جريمة تستحق العقوبة حتىٰ تنادوا فيما بينهم.

﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وبقي هؤلاء القوم يمارسون فجورهم ودعارتهم، ويقطعون السبيل على السائرين، ويأتون المنكر علانية في أنديتهم، حتىٰ أرسل الله تعالىٰ ملائكته وتدخلت القدرة الإلهية ليحل العقاب والجزاء.

بعث الله ملائكته على هيئة بشر يمتازون بالجمال الفائق الساحر، ووقفوا على باب لوط عليه السلام.

وهنا أتىٰ الدور الخائن والشنيع الذي لعبته امرأة لوط التي قيل إن اسمها «واعلة» فلقد كانت سبباً في متاعبه الكثيرة، فلم يكن يأتي ضيف إلىٰ لوط عليه السلام إلا تسارع لإبلاغ قومها، فلما رأت ضيوف لوط أسرعت كالعادة إلىٰ نشر الخبر في قومها تعينهم على منكرهم وفاحشتهم.

ولقد أفزع لوطاً قدومُ هؤلاء الضيوف، وخاف عليهم من فجور قومه يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [هود: ٧٧].

وأوصلت الخائنة خبر الضيفان إلىٰ قومها، فانطلقوا واجتمعوا حول بيت لوط:

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ٧٨].

لقد جاء هؤلاء الأرذال يركضون وراء شذوذهم وشهواتهم ويمنُّونَ أنفسهم بلذة ومتعة يحصلونها، وما دروا أن هذه اللذة والشهوة ستوصلهم إلىٰ عذاب الله ونقمته وأن هؤلاء حاملو العذاب الأليم لهم.

ووقف نبي الله لوط على باب داره يرد هؤلاء الذين ركبت الشهوة رؤوسهم، ويقول لهم: اتقوا الله ولا تخزوني في ضيوفي، وعرض عليهم الرجوع إلىٰ فطرة الله، فقدم بناته لهم زوجات، لكنهم أصروا

على فعلهم المخزي وقالوا:

﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ [هود: ٧٩].

ودمعت عينا لوط وهو يرد البغي والظلم عن ضيوفه وتمنىٰ لو أن له قوة ليواجه هؤلاء الذين ليس فيهم رجل عاقل رشيد، والتفت إلىٰ ضيوفه وقال لهم:

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود: ٨٠].

لكنت منعت عنكم ظلم وبغي هؤلاء وما يريدون من شنيع الفعال وعظيم الفاحشة.

وهنا خفف الملائكة على لوط ما أصابه من الهم والحزن وقالوا له: إنا رسل ربك جئنا لإنقاذك ودفع الضر عنك، وأخبروه بأنهم يحملون العذاب لهؤلاء القوم.

ودخل القوم يريدون الضيوف فطمس الله عيونهم، وأعمىٰ أبصارهم، فولوا هاربين.

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القمر: ٣٧].

وأمر رسل الله وملائكته لوطاً عليه السلام أن يخرج من هذه القرية الظالم أهلها هو وأهله، ولا ينظر أحد منهم وراءه ليرىٰ هول العذاب إلا تلك الخائنة فلا يخرجها معه لأنها كانت راضية عن المفسدين ومتآمرة معهم.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٨١].

وحل العذاب بالقرية التي كانت تعمل الخبائث، ونزلت عليها الحجارة من السماء متلاحقة كالمطر.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٢/ ٨٣].

لقد كانت امرأة لوط مثالاً للزوجة والمرأة السيئة، فهي لم تكتفِ بأنها كفرت بلوط عليه السلام وبرسالته، بل أثارت العدوانية على أهل بيتها وتجرأت على معصية الله ومظاهرة الكافرين ومعاونتهم على كفرهم، فكانت محرضة لهم لعمل الفواحش ومعينة لهم حين طلبتهم لعمل الخبائث مع ضيوف زوجها.

لقد كانت بحق امرأة ذات فكر سقيم وعقل مريض حين كانت بجانب النور والسعادة فرفضتها لتعيش في الظلمة والشقاء. نالت هذه المرأة عقوبة في الدنيا وحكماً خلداً حتىٰ يوم القيامة حين ناداها رب العزة وقال لها ادخلي النار مع الداخلين لأنك كافرة خائنة لزوجك، وما نفعك أن زوجك هو نبي مرسل من عبادنا الصالحين، وكذلك جزاء الخائنين لك ولأمثالك، وهذا مثل لكل امرأة بأنه لا تزر وازرة وزرة أخرىٰ.

امرأة فرعون

هي آسية بنت مزاحم بن ناحث بن لاوىٰ بن يعقوب عليه السلام بن إسحاق عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وهي امرأة مثلت في كتاب الله مثالاً للمرأة الثابتة على العقيدة والمبدأ لا تحيد عنهما، ومع من؟

مع أعتىٰ من عرفته البشرية في كفره وظلمه وعناده، مع من وصفه الله فقال:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

كانت مثالاً للصراع الأبدي - منذ خلق الله آدم وإلى قيام الساعة - في صراع الخير والشر، والحق والباطل، والظلمة

والنور. في قصر منيف شامخ على ضفاف النيل شاءت إرادة الله عز وجل أن يتربىٰ نبي من أنبيائه في هذا المكان.

ليتربىٰ موسىٰ في بيت عدوه الذي يستيقظ صباح مساء، فيأمر بقتل الأبناء واستحياء النساء، خوفاً من مولود يكون هلاك ملكه على يديه.

ها هي آسية زوجة فرعون ترىٰ نوراً يسطع في صندوق على النيل فتضم إلىٰ صدرها هذا الغلام الذي فيه وتقول لفرعون:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [القصص: ٩].

لقد نشأ موسىٰ عليه السلام في أحضان أمه وعطفها، وحنان آسية ورأفتها، فكانت له بمثابة أم ثانية.

وبعد أن أكرم الله تعالى سيدنا موسىٰ بالنبوة، عاد إلىٰ فرعون وقومه حاملاً معه آيات وحجج بينات تدل علىٰ صدق نبوته.

وتدور المعركة بين فرعون وسحرته وبين موسىٰ ونبوته، ليأتي الحق واضحاً جلياً، ويزهق الباطل خاسئاً دنّياً.

وتبلغ مسامع آسية معجزات موسىٰ فتعلن إيمانها به وبدعوة الحق التي يحملها.

ويعلم فرعون الطاغية بإسلام زوجته وإيمانها بالله عز وجل، فيصب جام غضبه عليها ليصرفها عن طريق الهداية.

أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس إلا أن إيمانها كان راسخاً في قلبها رسوخ الجبال، ولم تتراجع أمام

الضرب بالسياط ولا أمام الحرق بالنار.

ورفعت يديها إلىٰ السماء تسجل في صفحات كتاب الله دعوة صادقة مخلصة وزفرة من زفرات الألم تنفثه عابقاً بأزكىٰ أنفاس الإيمان.

رفعت يديها إلىٰ الله داعية:

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

وألقىٰ فرعون عليها صخرة عظيمة يريد إنهاء حياتها وتمزق جسدها فانتزع الله روحها وما شعرت بالألم الذي أحدثته الصخرة حين كسرت أضلاعها وهشمت رأسها.

رضي الله عن آسية بنت مزاحم، كانت امرأة مثلاً في كتاب الله تحملت أسوأ أنواع العذاب والتعذيب من أجل أن تحافظ على إيمانها بالله.

كانت امرأة من النساء الذين كملوا خلقاً وخلقاً، إيماناً وعقلاً حتى قال رسول الله ﷺ:

«كمل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ويكفيها فخراً ورفعة أنها تصدرت قافلة الصديقات وركب المؤمنات في مسيرة البشرية الطويلة وحلت في مكان رفيع لا يدانىٰ حين قال الله عز وجل:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

فهل سمعتم أيها المؤمنون، وهل سمعتم أيتها المؤمنات، فها هي ذي آسية امرأة فرعون مثلاً لكم في الإيمان ورسوخ العقيدة ولمثل هذا فليعمل العاملون. . .

مريم بنت عمران

وها هي مريم بنت عمران ضيفة بيت المقدس، والوافدة الجديدة، يتنازع كفالتها أحبار البيت وسدنته، فهي بنت إمامهم، وسليلة صاحب قربانهم «عمران».

ويبرز «زكريا عليه السلام» فيقول لسدنة البيت: أنا أحق بكفالتها، فأنا زوج خالتها، فأعطوني إياها، وخصوني بالعناية بأمرها.

لكن الجدل اشتد، وطال الحوار، فكلٌّ منهم يود أن يختص بكفالتها ليتقرب إلى الله زلفىٰ، وما خضعوا لرأي زكريا وما آثروه على أنفسهم.

واقترعوا فيما بينهم، ومضوا جميعاً إلىٰ نهر فألقوا فيه أقلامهم ـ وهي سهام الاقتراع ـ فارتفع فلو «زكريا» فوق الماء، وفشلت أقلامهم، فانصاعوا لرأيه، وخضعوا لإرادته، وسلموها إليه.

وبذلك استقرت كفالة مريم لزكريا عليه السلام قال تعالى:

﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ولقد أراد «زكريا» أن يكفل لمريم كل سبل الراحة، فاتخذ لها مكاناً شريفاً عالياً من المعبد، لا يدخله سواها، ولا يصعد إليه إلا بسلم، فكانت تعبد الله في هذا المكان، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت وخدمته، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها. واستمر «زكريا» على كفالته لها وتوفير سبل الراحة، وهو قرير العين حتى رأى يوماً شيئاً عجب له أشد

العجب، وبدأ يرىٰ في كل مرة يدخل عليها شيئاً غريباً، فها هو يجد عندها طعاماً وفاكهة لا توجد في السوق، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

من أين لها ذلك؟! وعهده بها ألا يدخل إليها أحد، أو يطرق باب حجرتها طارق!! فتوجه إليها قائلاً: من أين لك ذلك؟ ومن أين تأتيك هذه الأرزاق وهي ليست في أوانها؟ والأبواب مغلقة عليك، ولا سبيل للدخول إليك!!! فقالت:

إنه من عند الله، إن الله يرزق من يشاء. قال تعالىٰ:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

عند ذلك علم زكريا بمكانتها، وعظم تقديره لها، وعلم أن الله اختصها بمنزلة دون منازل الناس.

وفي أحد الأيام ـ بعد أن بلغت مريم عليها السلام مبلغ النساء ـ خرجت من محرابها لبعض حاجاتها، وسارت جهة شرقي بيت المقدس وإذا بها تفاجأ بشاب وضيء الوجه، حسن الصورة، ففزعت واضطربت على نفسها، وجعلت تبتعد عنه وهي تخشىٰ أن يهم بها بسوء في مكان ليس فيه منقذ أو نصير.

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم: ١٨].

فقال لها جبريل الذي تمثل لها بشراً سوي الخلق حتىٰ لا تفزع وتخاف:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم: ١٩].

فأنست مريم بعض الشيء عندما علمت أن هذا الذي يعرض لها في خلوتها ليس بشراً إنما هو ملك كريم، ولكنها تعجبت من تبشيره لها

بالغلام، فهي امرأة بكر ما تزوجت، وما قربها أحد من الرجال، فهي عذراء عفيفة ما قارفت إثماً، فكيف يمكن أن يأتيها غلام مع عدم اتصال رجل بها؟ فقالت للمَلَك:

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [مريم: ٢٠].

فكان جوابه لها إنها إرادة الله ومشيئته، فهو جل ثناؤه لا يعجزه شيء، وإذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ٢١].

وجلست مريم حائرة تفكر فيما سمعته، فماذا سيقول عنها الناس وهي عذراء تحمل وتلد من غير أن يكون لديها زوج، فانعزلت بنفسها في بيت قرب «الناصرة» تخاف أن يكتشف الناس أمرها، فيعملون على رميها بألسنتهم، ويتحدث الناس في شأنها.

وهكذا كلما تقدمت بها الأيام زادت همومها، وكثرت أحزانها، لكنها استسلمت لقضاء الله وما قدره لها، فهي تعلم أنها بريئة لم ترتكب إثماً، ولم تقترف ذنباً.

يروى أن مريم لما ظهرت عليها علامات الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من أقربائها يدعى «يوسف النجار» وكان من العباد الصالحين، فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها.

فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال:

يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟

قالت: نعم، فَمنْ خلق الزرع الأول؟

ثم قال: هل يكون شجر من غير ماء؟

قالت: فمن خلق الشجر الأول؟

قال: فهل يكون ولد من غير ذكر...؟

قالت: نعم، إن الله خلق آدم من غير ذكر وأنثىٰ.

قال لها فأخبريني خبرك، فقالت: إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى.

فعرف أنها بريئة، وأن الحمل الذي بها إنما هو بمشيئة الله وإرادته الحكيمة.

واقتربت ساعة الوضع وأحست ألم المخاض، فخرجت من القرية وحيدة منفردة، وأسندت ظهرها إلىٰ نخلة يابسة في مكان مقفر حتىٰ لا يراها أحد، فجاءها المخاض وهي على ذلك الحال وحيدة لا يد تساعدها، ولا أنيس يخفف وحشيتها تكابد الآلام وتقاسي ألمين: ألم المخاض ولقد خفف الله عنها الألم - وألماً معنوياً وهو الخوف من أن يفترىٰ عليها ظلماً وبهتاناً، ونادت ربها.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم: ٢٣].

تمنت الموت وهي ترىٰ هذا الطفل الذي جاءها، فماذا ستفعل؟ وماذا ستقول؟

لكنها ما لبثت أن سمعت صوتاً يرن في أذنها، يؤنس وحشتها، ويبددَ مخاوفها، فكفكفت دموعَهَا وهي تسمع من يقول لها:

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ

تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٤/٢٦].

فاستجمعت قوتها، ورجعت إلى القرية، وأتت به قومها تحمله. وسرعان ما شاع أمرها، وعُرف خبرها، فاجتمعوا عليها، وأخذ بعضهم يوجه لها اللوم، والبعض الآخر يسخر من شرفها وطهارتها وقالوا:

﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٧/٢٨].

لكنها ما نطقت وما تكلمت، بل أشارت إلى الصغير ليكلموه، فازداد عجبهم وسخريتهم، فكيف يكلمون طفلاً ما زال في مهده لا ينطق ولا يتكلم!!؟

لكن الله تعالى أطلق لسان الصغير الذي ما نطق أمثاله، وصاح فيهم يذكرهم بقوة الله، ويرد عن أمه سخريتهم:

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٠/٣٣].

لقد نطق الطفل ببرهان صادق، فهل بعد هذا حاجة إلىٰ دليل يمحق باطلهم، أو برهان يدحض افتراءاتهم.

لقد أنطقه الله بالحكمة، وأعد للنبوة وهو لم يزل صبياً في حجر أمه.

لقد كان هذا آية على براءتها، ومعجزة دالة على طهرها، فهي أشرف نساء الأرض وأطهرهن.

وحملت مريم عيسىٰ عليه السلام، ومضت به إلىٰ مصر بعد أن تناقلت الأخبار نبأ ولادته ومعجزته، فوصلت إلىٰ حاكم تلك

البلاد «هيرودس» الذي أراد قتله خوفاً على ملكه.

ومكثت به في مصر اثني عشر عاماً حتىٰ هلك هذا الملك، ثم عادت به إلىٰ فلسطين.

ونشأ عيسى عليه السلام في كَنَفِ أمه بعيدين عن «بيت لحم» في ربوة ذات استقرار وأمن وماء معين.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وكانت مريم الطاهرة العفيفة عوناً وسنداً لنبي الله عيسىٰ عليه السلام الذي حمل الرسالة وهو في الثلاثين من عمره، ومضىٰ يطوف البلاد يدعو إلىٰ الله حاملاً المحبة والسلام، وداعياً اليهود للإيمان به، لكنهم كفروا به، وما آمن معه إلا قلة، وتآمروا حتىٰ يقتلوه فنجاه الله ورفعه إليه كما ذكر تعالىٰ في كتابه.

وبعد خمس سنوات من رفع عيسىٰ عليه السلام استرد الله أمانته الطاهرة، وراحت مريم محلقة في عالم الملكوت مثالاً للطهارة والعفاف، وكان لها من العمر ثلاث وخمسون سنة.

قال تعالىٰ:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢].

فسلام على الصديقة مريم العذراء حاملة المعجزة الكبرىٰ والبرهان العظيم عيسىٰ عليه السلام.

زوجة موسىٰ عليه السلام

لما هرب موسىٰ عليه السلام من مصر بعد أن قتل الفرعوني وخرج من المدينة خائفاً أن يفتك به رجال فرعون.

هذا الخروج ذكره كتاب الله عز وجل حين قال:

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص: ٢١].

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص: ٢٢].

لقد توجه نبي الله موسىٰ إلىٰ مدين وهو على عَجَلٍ، فلم يتزود للطريق، ولم يعد للسفر عدته، معتمداً على الله في هدايته إلىٰ السبيل السوي، وهناك عندما ورد ماء مدين وجد عليه جماعات كثيرة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين تقفان بغنمهما بعيداً عن الماء انتظاراً لأن يسقي أولو القوة من الرعاة ماشيتهم.

وهنا بدت شهامة موسىٰ عليه السلام ورجولته وقوته، فقام إليهما يستفسر عن سبب وقوفهما بعيداً عن الماء، فقالتا لا نسقي حتىٰ يصدر هؤلاء الرعاة ويذهبون بماشيتهم.

فالمقياس عند هؤلاء القوم هو القوة، ولما كانت هاتان الفتاتان لا تجدان من يسقي لهما لضعف أبوهما. قام موسىٰ وقدم على البئر بعد أن خافه الرعاة لقوته، فاحترموه، وسقىٰ للمرأتين غنمهما، ولم يقدر أحد على منعه لأن الناس دائماً يحترمون الأقوياء.

ورجعت الأختان إلىٰ أبيهما «شعيب» على أكثر الروايات.

فأنكر عليهما عودتهما مبكرتين، وسألهما عن سبب ذلك فأخبرتاه

بما كان من الرجل المصري الكريم الذي سقىٰ لهما ورحمهما من الانتظار والزحام، فسرَّ الأبُ وطلب رؤيته.

وبينما موسى جالس تحت الشجرة ينادي ربه قائلاً:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

فجاءته «صفورة» وهي إحدىٰ البنتين وقد وصفها القرآن بصفة هي من أجل الصفات في النساء

﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]

وقالت لموسىٰ وهي على خجل إن أباها يريد أن يراه ليشكره ويجزيه على ما سقىٰ لهما.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

وتبع موسىٰ المرأة إلىٰ نزل أبيها، وجعلها خلفه قائلاً: إنا لا ننظر إلىٰ أدبار النساء ولكن انعتي لي الطريق وأنت خلفي، وقد قال لها ذلك حين تبعها وضربت الريح ثوبها فكشفت عن ساقها أو جسمها، فأخّرها موسىٰ وتقدم، وهي تصف له الطريق.

وجاء موسىٰ إلىٰ الشيخ، فرحّب به وأهّل، وسأله عن خَطبه بعد أن أطعمه وسقاه وقضىٰ على جوعه الظاهر.

فقص عليه موسىٰ ما جرىٰ له، وما فعل، وكيف خرج من مصر بعد أن أراد فرعون وجنوده قتله، فقال له الشيخ:

﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٥٢].

وأراد شعيب أن يكون موسىٰ من أهله وذلك لما رأىٰ حسن أخلاقه وشجاعته وعبادته لله عز وجل، وعلى الأخص حين رأىٰ من ابنته ميلاً إليه حين قالت:

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦].

فقال له: إنه يريد أن يزوجه إحدىٰ بناته على أن يرعىٰ أغنامه ثماني سنين، وإذا أتمها لعشر فهذا من عنده.

وقد جاء عن «عمر» و«ابن عباس» رضي الله عنهما أنه لما قالت ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص: ٢٦].

قال لها أبوها: وما علمك بهذا؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة، وأنه لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال كوني من ورائي فإذا اختلف الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق، وهكذا تزوج موسىٰ عليه السلام «صفورة» وكانت نعم الزوجة الصالحة المخلصة الوفية لزوجها.

وبذلك صارت هذه الفتاة صاحبة الحياء زوجة نبي من أنبياء الله الصالحين، ولا شك أنه كان لها دور في مسيرة موسىٰ الطويلة في الدعوة إلىٰ الله عز وجل فهي سند وعون وشريكة حياة.

المجادِلة

إنها المرأة التي نزلت بها هذه السورة.

خولة بنت ثعلبة بن أصرم هي المجادلة.

وزوجها هو «أوس بن الصامت» ـ رضي الله عنه ـ أسلم مبكراً وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر وأُحد والخندق وبقيَّة المشاهد كلها.

وهو شقيق الصحابي «عبادة بن الصامت» أحد النقباء الاثني عشر، ولكن بماذا ذكرت خولة بنت ثعلبة؟

ما هو العمل الذي أدخلها كتاب الله باسم المجادلة، ولتُسجَّل بعد ذلك على صفحات كتب التفسير والسير، كلها تروي قصتها مع زوجها.

لقد قامت خولة المؤمنة المسلمة بواجبها تجاه زوجها، فما سجل التاريخ شجاراً ولا خلافاً.

حتىٰ كبرت سنه، وتقدم به العمر، فأصيب بلمم كان به، وفي لحظات غضب قال لخولة زوجه:

(أنت علي كظهر أمي).

فوقفت خولة تحمل هم الدنيا وحزنها على رأسها عندما سمعت هذه الكلمة.

إن هذا يعني أنها حرِّمت على زوجها حرمة أبدِية، فما هذا إلا ظهار تعارفته الجاهلية، وهو أشد أنواع الطلاق قسوة، إنه تحريم مؤكد لا رجعة فيه.

وتمضي خولة إلىٰ رسول الله قائلة:

(يا رسول الله أبلىٰ شبابي، ونثرت له بطني، حتىٰ كبر سِنيّ، وانقطع ولدي. ظاهر مني.

يا رسول الله: إن أوساً مَنْ قد عرفت، أبو ولدي، وابن عمي وأحب الناس إلي.

وقد عرفت ما يصيبه من اللمم وعجز مقدرته، وضعف قوته، وعيّ لسانه، وأحق من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته، وأحق من عاد علي بشيء إن وجده هو.

وقد قال كلمة والذي أنزل عليك الكتاب بالحق ما ذكر طلاقاً، قال أنت علي كظهر أمي.

فقال رسول الله: «ما أراك إلا قد حَرُمت عليه».

فجادلت رسول الله مراراً ثم قالت:

«اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي وما شق عليّ من فراقه، اللهم أنزِلْ على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج».

قالت عائشة: فلقدْ بكيتُ وبكىٰ من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقة عليها.

فبينا هي كذلك بين يدي رسول الله تكلمه نزل الوحي على رسول الله.

وكان رسول الله إذا نزل الوحي عليه يغط رأسه ويتربد وجهه، ويجد برداً في ثناياه، ويعرق حتىٰ يتحدر منه مثل الجمان.

قالت عائشة: يا خولة إن الذي ينزل عليه ما هو إلا فيك.

فقالت: اللهم خيراً فإني لم أبغ من نبيك إلا خيراً».

قالت عائشة: فما سري عن رسول الله حتىٰ ظننت أن نفسها تخرج خوفاً من أن تنزل الفرقة.

فسري عن رسول الله وهو يبتسم، فقال: يا خولة:

قالت: لبيك، ونهضت قائمة فرحة بتبسم رسول الله.

ثم قال: «قد أنزل الله فيك وفيه قرآناً».

قوله تعالىٰ:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

تقول عائشة:

تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفىٰ عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلىٰ رسول الله ﷺ.

«وقال رسول الله لخولة:

مريه فليعتق رقبة.

قلت: يا نبي الله، واللهِ ما عنده رقبة يعتقها.

قال: مريه فليصُمْ شهرين متتابعين.

قلت: يا نبي الله: والله إنه شيخ كبير ما به من صيام.

قال: فليطعم ستين مسكيناً.

قلت يا نبي الله: والله ما عنده ما يطعم.

فقال: بلىٰ سنعينه بعذق من تمر...

قالت: قلت وأنا أعينه بعذق آخر، قال: أحسنت فليتصَدق».

وبذلك عادت الفرحة إلى البيت الصغير.

وتتوالىٰ الأيام والليالي، ويصبح الناس وقد تناسوا المجادلة «خولة بنت ثعلبة».

حتىٰ كان يوم خلافة عمر بن الخطاب خرج عمر من المسجد ومعه «الجارود العبدي». فإذا بامرأة برزت في الطريق، فسلم عليها عمر، فردت عليه السلام وقالت:

هيهات يا عمر، عهدتك وأنت تسمىٰ عميراً في سوق عكاظ ترعىٰ الضأن بعصاك.

فلم تذهب الأيام حتىٰ سميت عمرَ ثم لم تذهب الأيام حتىٰ سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية.

واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي عليه الفوت.

فقال الجارود: قد أكثرتِ أيتها المرأة علىٰ أمير المؤمنين.

فقال عمر: دعها أما تعرفها؟

هذه «خولة بنت ثعلبة» زوجة «أوس بن الصامت» التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات.

فعمرُ والله أحق أن يسمع لها.

رضي الله عنها، فقد كانت صاحبة حق، وعرفت أن الإسلام دين حق، لا يهضم الحقوق، ولا يرضىٰ بالظلم أبداً. فجادلت بجرأة لا تخاف في الله لومة لائم.

رحمها الله رحمة واسعة، وأدخلها الجنة التي وعدها الله لعباده المتقين.

لقد رأينا في رحاب القرآن أروع القصص التي تدل على أسمى الحكم والعبر.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

صور ومواقف من الرعيل الإسلامي الأول

صفية بنت عبد المطلب

صحابية جليلة، وفوق ذلك هي عمة رسول الله ﷺ، وأخت حمزة أسد الله ورسوله، وهي أيضاً أم حواري رسول الله «الزبير بن العوام».

فنعم القرابة قرابتها، ونعم النسب نسبها، ونعم المرأة الجليلة هي.

كان أول من تزوجها «الحارث بن حرب بن أمية» ثم هلك ومات، فتزوجها بعده «العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ»، فولدت له «الزبير» و «السائب».

وما أن لاح فجر الإسلام وأضاء نوره حتىٰ شهدت بشهادة التوحيد. فكانت مع الرعيل الأول.

لقد أصغت إلىٰ رسول الله وهو ينادي أهله وعشيرته ممتثلاً لقوله تعالىٰ:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤/ ٢١٥].

فقام رسول الله ينذرهم ويقول:

يا معشر قريش: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني هاشم: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا فاطمة بنت محمد: أنقذي نفسك من النار.

يا صفية بنت عبد المطلب: أنقذي نفسك من النار. لا أملك لكم من الله شيئاً.

لقد سمعت «صفية» نداء رسول الله وهو يخصها باسمها أن يا صفية إياك أن تغتري بالحياة الدنيا.

هبي نفسك لله، واهربي بنفسك من نار جهنم، فينشرح صدرها للإسلام وتقف سنداً وعضداً لرسول الله، بجوار أخيها «حمزة» الذي أعز الله به الدين.

وها هو ابنها «الزبير» يعلن إسلامه وانضمامه إلىٰ هذا الركب المبارك.

وتهاجر مع ابنها «الزبير» إلىٰ المدينة، وتقف هناك مع المؤمنين المهاجرين وإخوتهم الأنصار يبنون صرح دولة ما عرف التاريخ لها مثيلاً من قبل.

ويأتي يوم أُحد، وتمتد يد آثمة لتنال من حمزة أسد الله غيلة في ساحة القتال.

وها هي «هند بنت عتبة» زوج «أبي سفيان» تقبل على الأسد الضرغام وقد خرَّ صريعاً لتنال ثأرها ممن قتل أباها وعمها فتعمل على التمثيل بجثته رضي الله عنه.

وتنجلي المعركة، ويقف رسول الله على جثمان عمه يرىٰ ما فعله المشركون فيه، فتدمع عينيه، وتتأجج نيران الغضب في قلبه، وإذا بصفية أخت الشهيد تلوح لرسول الله وهي مقبلة، فيشق رسول الله عليها أن ترى شقيقها على هذه الحال.

قد بُقر بطنُه، وأخرجت أحشاؤه، وشوِّه وجهه.

فقال لابنها الزبير:

«أرجعها حتىٰ لا ترىٰ ما بأخيها».

فذهب الزبير إليها، وقال لها بصوت أقرب إلىٰ البكاء:

يا أماه؛ ارجعي، فإن رسول الله يأمرك أن ترجعي.

فقالت صفية بكل صبر وهدوء:

ولِمَ... لقد بلغني أنه مُثِّل بأخي.

وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، ولأصبرن صبراً جميلاً، ولأحسبن إن شاء الله.

فعاد الزبير إلىٰ رسول الله يخبره بما قالت:

فقال له رسول الله: «خلّ سبيلَها».

فتأتي صفية، وتقف على رأس أخيها حمزة رضي الله عنه وهي صابرة محتسبة وتقول له:

(عليك صلاة الله يا أبا عمارة وغفر لك، نحو قوم عادتنا القتل والشهادة، لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله لك ولي، وجزاك جزاء عباده المخلصين).

وتودع صفية شقيقها وهو يُوارىٰ مع شهداء أُحد إلى مثواهم الأخير.

وتمضي «صفية» مع ابنها مجاهدين في سبيل الحق والدين، وما أسرع ما أتىٰ يوم الخندق فإذا بالمسلمين يقفون خلف الخندق يقاتلون الأحزاب وقد زحفوا يريدون إطفاء نور الله.

وتمكث صفية مع النساء والصبيان في حصن بحراسة «حسان بن ثابت» شاعر رسول الله ﷺ.

لقد اجتمع الأعداء حول المسلمين، والمدينة محاصرة من كل جانب، ففي خارجها وقف الأحزاب، وفي داخلها نقض بنو قريظة العهد وخانوا الميثاق.

وهنا ترىٰ صفية يهودياً يحومُ حول الحصن، يستكشف ما فيه وما حوله، فقالت لحسان بن ثابت:

يا حسانُ: هذا اليهودي يطوف بالحصن، والله لا آمنه أن يدل اليهود الذين من ورائنا على عوراتنا.

فقال حسان، وهو لا يستطيع الخروج لكبر سنّه:

ما ذاك فيّ، وما أنا بصاحب هذا الأمرِ وإلا لكنت مع رسول الله.

وهنا ترىٰ صفية الخطر يحيق بنساء المسلمين وأطفالهم فلا تستطيع أن تسكت، فتحمل عموداً من أعمدة الخيام، وتخرج من الحصن وقد نوت قتل اليهودي.

فما أن رأته حتىٰ هجمت عليه، وضربته بالعمود ضربة خرَّ لها صريعاً لا حراك فيه.

واحتزت رأسه وقامت إلىٰ «حسان» وقالت خذ بأذنه وارم به عليهم.

فما أن رأىٰ اليهود رأس صاحبهم حتىٰ قالوا:

(لقد ظننا أن محمداً لم يكن يترك أهله خلوفاً لا رجال معهم).

وهكذا كانت صفية رضي الله عنها أول من قتلت رجلاً من المشركين، ويسجل التاريخ لها هذه البطولة والعظمة وهي تجاهد في سبيل الله وتحفظ المسلمين في نسائهم وأولادهم.

ولما توفي رسول الله خرجت صفية ترثيه وتقول:

قد كان بعدك أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ لو كنتَ شاهدَها لم يكثر الخطبُ

وقالت :

لِفَقْدِ رسول الله إذ حان يومُهُ فيا عين جودي بالدموع السواجم

ماتت صفية بنت عبد المطلب في خلافة أمير المؤمنين ودفنت بالبقيع.

رضي الله عن صفية فقد كانت امرأة من المجاهدات في سبيل الله.

أسماء بنت أبي بكر

صحابية جليلة، الفخر بها ولها، فهي ابنة الصديق خليفة رسول الله ووزيره في الأرض.

وهي أخت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر.

وهي زوجة الحواري حواري رسول الله «الزبير بن العوام».

وهي أم الأسد الهصور والشهيد المصلوب «عبد الله بن الزبير».

كل هذه اجتمع فيها، إنها أسماء من العز والفخر، وعلامات من النبوغ والصبر، تستحق أن تكون أسوة وقدوة حسنة، فإلىٰ قبسات من حياتها ونفحات من عبيرها.

أسلمت قديماً، وكانت ضمن الرعيل الأول السابقين للإسلام، فكان إسلامها بعد سبعة عشر إنساناً.

تزوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه فجمعت بذلك خصالاً كريمة أخرىٰ.

لقد أضحت أسماء زوجة لأحد المبشرين بالجنة، وحماتها «صفية بنت عبد المطلب» عمة رسول الله ﷺ.

وها هي أسماء إن أردنا أن نعيش لحظات من حياتها حبيبة صغيرة

السن تنطلق حاملة لرسول الله ولأبيها الزاد والطعام.

تقطع قرابة ثلاثة أميال في جوف الليل متخفية وماشية، وتصعد جبل ثور حيث يتخفىٰ رسول الله وصاحبه، فتوافيهما بالزاد والأخبار.

فكانت أسماء واسطة الاتصال في أخطر وأعظم رحلة في تاريخ الإسلام، رحلة الهجرة التي غيرت مسار التاريخ، ولقد وعت بعقلها النير ـ على حداثة سنها ـ خطورة ما تقوم به، فأدت مهمتها خير أداء، وهنا يحفظ لها التاريخ لقباً:

لقد هيأت الطعام والزاد للمهاجرَيْن العظيمين، ولم تجد ما تشد به الطعام.

فشقت نطاقها، وربطت السقاء بواحد، والسفرة والطعام بالآخر.

فنظر إليها رسول الله متبسماً وقال لها:

«قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة».

فحملت أسماء بنت أبي بكر منذ ذلك اليوم لقب «ذات النطاقين»، كان وساماً جليلاً لفدائية صغيرة، كانت هذه مهمتها في رحلة الهجرة، وتعود إلىٰ البيت في مكة بعد أن أدت مهمتها.

وإذا بالباب يطرق، فتفتح لتواجه أعتَى الكفار والمشركين بشجاعة وهم يسألونها:

أين أبوك يا بنت ابن أبي قحافة؟؟

فتقول لهم: لا أدري أين أبي.

فيرفع أبو جهل يده الغليظة ويهوي بها على خد أسماء، فتتلقىٰ بخدها الغض الطري صفعة الآثم الجاهل، فيتساقط قرطها على الأرض، لكن رأسها لم ينحنِ في وجه أبي جهل، فلقد ازدادت إيماناً وصبراً وعزة بالدين والإيمان.

ويأتيها بعد ذلك جدها «أبو قحافة» وقد كان كفيف البصر وهو يقول:

أما والله قد فجعكم أبو بكر بماله ونفسه.

فتقول له: كلا يا أبت، إنه ترك لنا خيراً كثيراً.

فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت حيث كان أبو بكر يضع ماله، ووضعت فوقها ثوباً.

وقالت به: يا أبت ضع يدك على هذا المال.

فوضع يده وقال:

لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحسن.

وهاجرت أسماء مع زوجها بعد ذلك حيث رسول الله ﷺ وهي تحمل في أحشائها غلاماً لها، فما بلغت قباء حتىٰ وضعت أول مولود في الإسلام بعد الهجرة.

وكان هذا الطفل هو عبد الله أول أبناء الزبير بن العوام رضي الله عنه.

وتعيش أسماء في المدينة عيشة الشدة والاحتمال، لا عيشة الراحة والهناء.

كانت مثال الزوجة الصابرة، حتىٰ إن عروة ابنها يقول عنها محدثاً، قالت:

تزوجني الزبير وما لَهُ في الأرض مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه قالت:

فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق النوىٰ لناضحه، وكنت أنقل النوىٰ من أرض الزبير وتقول:

كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس، وكنت أسوسه، وكنت أحتشُّ له وأقوم عليه.

وقد اشتد عليها يوماً هذا العمل المضني والعيش القاسي، فأتت أباها وشكت إليه.

فقال: يا بنية: اصبري، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها، فلم تتزوج بعده جمع بينَهما في الجنة..

ولم تنس أسماءُ وسط أعبائها المنزلية أن تنال من علم النبوة، وتتفقه في أمور دينها، فلقد كانت أسماء من الذين أكثرن من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، فقد روي عنها حوالي ثمانية وخمسين حديثاً عن رسول الله ﷺ.

وأتاها يوماً حفيدها عبد الله بن عروة بن الزبير فقال:

يا جدتي: كيف كان أصحاب رسول الله إذا سمعوا القرآن قالت:

تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله.

قلت: فإن ناساً ها هنا إذا سمع أحدهم القرآن خر مغشياً عليه فقالت:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فكأنما يعتب على هؤلاء عدم فهمهم لكتاب الله، وعدم تدبرهم السليم لآياته، ولقد كانت أسماء كثيراً ما تسأل رسول الله عن أمور دينها، حتىٰ إنها في يوم أتتها هدايا من أمها ـ وقد كانت مشركة ـ فأبت أن تقبلها حتىٰ تسأل رسول الله، فسألته، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

عندئذ أدخلتها «أسماء» وقبلت هديتها.

ولقد جاء في الحديث الصحيح.

قالت أسماء رضي الله عنها، يا رسول الله: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟

قال: «نعم صِلي أمك».

وكانت أسماء ذات جود. وكرم لا تدخر شيئاً لغد، فكانت تمرض المرضىٰ وكانت تقول لبناتها وأهلها:

انفقوا أو أنفقن، وتصدقن، ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئاً، وإن تصدقن لم تجدن فقده.

ولا بد لنا أن نذكر لها موقفها مع ابنها «عبد الله» في مكة، فلقد كانت مثالاً لمضاء العزيمة وعزة النفس.

دخل عليها ابنها عبد الله وقد جاوزت المئة من عمرها، فقال لها:

يا أمه، خذلني الناس حتىٰ أهلي وولدي، ولم يبقَ معي إلا اليسير، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطاني الحجاج ما أردت من الدنيا فما رأيك؟؟

فقال: اللهَ اللهَ يا بني.

إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك.

وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت، أهلكت نفسك ومن معك، وإن قلت: إني كنت على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي.

فليس هذا فعل الأحرار ولا مَنْ فيه خير.

كم خلودك في الدنيا؟

القتل أحسن ما يقع بك يا بن الزبير.

والله لضربة بالسيف في عزٍ أحب إليّ من ضربة السوط في ذل.

فسمع عبد الله مقالة أمه وهو الذي قاتل بني أمية ودانت له العراق والحجاز واليمن خليفة، ثم ها هو محاصر في مكة، وما معه إلا قلة، والحجاج يمنيه بأن يكون أميراً إذا بايع بني أمية.

لقد كانت مشورة أمه مشورة صدق وحق خالص، ما راعت فيه عاطفة، أمام الحق، ولم تبخل عليه بالنصيحة.

فقال لها: يا أماه: أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني!

فقالت «أسماء» لابنها مقولة سجلتها كتب التاريخ، وحفظها الناس أجمعين.

يا بني إنّ الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح، يا بني امضِ على بصيرتك واستعن بالله.

فقبل رأسها، وقال لها: هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى الله.

ولكني أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي.

وأردت أن لا يروعك شيء إذا بلغك مقتلي.

ومضىٰ «عبد الله»، فقاتل وصبر حتىٰ تكاثر عليه أعداؤه فقتلوه شهيداً، وصلبه الحجاج مدة يأبىٰ أن يدفنه.

فقالت أسماء متضرعة إلىٰ الله:

اللهم لا تمتني حتىٰ أوتي به فأحنطه وأكفنه.

ومضت إلىٰ الحجاج، ووقفت أمامه برباطة جأش فقال لها:

كيف رأيتني صنعت بابنك؟

فقالت: أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك.

وقالت: قد آن الآوان لهذا الراكب أن ينزل.

قال الحجاج: المنافق؟؟

قالت: لا والله ما كان منافقاً، وقد كان صواماً قواماً، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ:

«أن في ثقيف مبيرٌ وكذابٌ، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه».

ولم تعمر أسماء بمكة بعد قتل ابنها عبد الله إلا قليلاً، فماتت بعده بليالٍ بعد أن كفنته وحنطته بيدها، ودفنته وأدرجته في أكفانه، وصلت عليه.

ماتت رضي الله عنها بعد أن عاشت أكثر من مئة سنة لم يسقط لها فيها سن، ولم يُنكر لها عقل.

أم سليم بنت مِلْحان

صحابية جليلة، من الصحابيات الجليلات، واسمها يكاد معروفاً وقريباً للأسماع.

هي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حَرَام بن جندب الأنصارية.

قيل: اسمها سهلة، وقيل: رُميلة، وقيل: رُميثة، وتلقب بالغميصاء أو الرميصاء.

لكن المتفق على كنيتها أنها أم سليم بنت ملحان أخت أم حرام.

هي أم الصحابي الجليل «أنس بن مالك» الذي تشرف بخدمة رسول الله ﷺ.

وحياة أم سليم حياة ينبغي الوقوف عندها، فهي مدرسة لكل أم ولكل زوجة، لا بل ولكل امرأة، ولا نبالغ إن قلنا: إن في حياتها عبرة للمسلم رجلاً كان أو امرأة.

فمع أم سليم نمضي وفي حياتها نخوض.

أسلمت أم سليم بمكة، وبايعت رسول الله مع الأنصار الذين بايعوه، فكانت من سابقي الأنصار إلى الإسلام.

وبلغ زوجها إسلامها فقال لها: أصبوت؟!

فقالت: لا والله ما صبوت، ولكني آمنت.

وجعلت الصحابية المؤمنة تهتم بصغيرها أنس، لا اهتمام الطعام والشراب فحسب، بل أخذت تلقنه وتقول له:

قل لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمداً رسول الله.

فجعل «أنس» يتلفظ بها وهو في بداية نطقه، فتحمله فرحة مستبشرة، فسمع الأب «مالك بن النضر» أنس ينطق بالشهادة، فغضب وقال لها:

لا تفسدي عليَّ ابني.

فقالت له: أما إني والله لا أفسده.

فخرج زوجها يريد الشام وهو غاضب، فلقيه عدو له فقتله.

وبقيت أم سليم مع صغيرها وحيدة ترعاه، وتلقنه، وترضعه العلم والإيمان مع الحليب والطعام.

وما إن قدم رسول الله المدينة حتىٰ أتت أم سليم بصغيرها وكان ابن عشر سنين، فقالت له:

هذا أنس يخدمك، فقبله رسول الله وكناه «أبا حمزة» ومازحه فقال له:

«يا ذا الأذنين» ودعا له.

وتمضي الأيام، ويتقدم الخُطّاب لأم سليم التي تردهم دون أن ينالوا حظوتهم.

ويتقدم لخطبتها «أبو طلحة الأنصاري» وقد كان مشركاً، فأبت، فعاودها ثانية، فأجابته بعد أن توسمت فيه خيراً.

إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركاً، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان، وهي لا تضر ولا تنفع؟؟

فمضىٰ أبو طلحة بعد أن قال لها: سأنظر في أمري.

وأخذ أبو طلحة يفكر في كلام هذه المرأة التي طلبت منه صداقها أن يسلم!! وفكر بكلامها وهي تقول له: أفلا تستحي أن تعبد شجرة أو حجراً؟؟

فأتاها، وقال: لقد وقع في قلبي الذي قلتِ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فكان مهر أم سليم أكرم مهر وهو الإسلام.

وعاشت أم سليم مع أبي طلحة، فكانت مثالاً للزوجة المؤمنة الصالحة، والمجاهدة الفاضلة.

وندخل معاً إلىٰ بيتها، فإذا التاريخ والأثر يروي لنا عنها قصة وحديثاً من أروع وأسمىٰ ما نقل.

لقد كان لها ولد صغير وهو وحيد «أبي طلحة»، وقد مرض ومات، وأبو طلحة خارج الدار، فقالت لأولادها لما دخل:

لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة غيري.

فلما جاء سأل عن ولده. قالت: هو أسكن مما كان، وتطيبت، وتزينت، وقدّمت لأبي طلحة عشاءه، وأمضيا ليلتهما على أتم ما يكون عليه زوجان.

ثم قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلىٰ آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شقّ عليهم؟؟

قال: ما أنصفوا.

قالت: فإن ابنك فلاناً كان عارية من الله، فقبضه إليه، فاسترجع وحمد الله، وذهب فذكر ذلك للنبي ﷺ.

فقال: «بارك الله لكما في ليلتكما».

فجاءت بولد وهو «عبد الله بن أبي طلحة» فأنجب، ورزقه الله أولاداً، قرأ القرآن منهم عشرة.

وحملت أم سليم طفلها لرسول الله حيث حنكه وسماه «عبد الله»، فكانت أم سليم مثالاً للمرأة التي تراعي مرضاة الله، ومصالح زوجها.

وإذا أردنا «أم سليم» في ساحات الجهاد، فسيرى لها مشاهد ومواقف خالدة، فقد كانت تصاحب زوجها المجاهد العظيم الذي قال عنه رسول الله:

«صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة».

فشهدت أحداً، وعن أنس رضي الله عنه قال:

لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرىٰ خدم سوقهما، تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانها في أفواه القوم.

وفي حنين اتخذت «أم سليم» خنجراً وضعته في وسطها، وكانت حاملاً بعبد الله.

فقال أبو طلحة، يا رسول الله: هذه أم سليم معها خنجرٌ؟

فقالت: يا رسول الله: اتخذته إن دنا مني أحد المشركين بقرت بطنه.

وكانت أم سليم من الصحابيات العالمات، فقد روت عن رسول الله حوالي أربع عشرة حديثاً.

وكان لها عند رسول الله مكانة خاصة، فكان رسول الله يخصها بعطفه، ويعتبرها بمنزلةِ أهل بيته.

وكَان رسول الله لا يدخل على أحد من النساء بعد نسائه إلا على أم سليم، فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك، فقال: «إني أرحمها، قتل أخوها معي».

ويروىٰ أن رسول الله ﷺ نام وقت الظهيرة على نطع ـ بساط من جلد ـ فعرق.

فاستيقظ وهي تمسح العرق فقال: «ما تصنعين؟».

قالت: آخذ هذا للبركة التي تخرج منك. وكانت رضي الله عنها تأخذ عرق النبي وتخلط به طيبها، فهو أطيب الطيب.

نعم هكذا كانت أم سليم تتلمس البركة والعلم والهدى من رسول الله.

نعم الزوجة في بيتها، ونعم المجاهدة في جهادها، ونعم المتعلمة في علمها، فاستحقت بشارة عظيمة من رسول الله.

إنها بشارة عظيمة جليلة بجنة الفردوس.

فقد قال رسول الله :

«دخلتُ الجنة، فسمعت خَشْفَة ـ فقلتُ من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك».

نعم، هكذا كانت الصحابية الجليلة أم سليم.

أمٌّ خبرت أصول التربية فعرفت كيف تربي أبناءها وترعاهم، وجعلت أنساً خادماً للمعلم المربي رسول الله ﷺ.

حتى، إن أنساً كان يقول: جزىٰ الله أمي عني خيراً، لقد أحسنت ولايتي.

وكانت زوجة عرفت طرق التعايش الأسري والزوجي، فكانت كريمة المهر، وكريمة الزوج، وكريمة العشرة.

وكانت امرأة تعرف ماذا تفعل، وماذا تريد، ووصلت لما تريد حين بشرها رسول الله بالجنة.

فإلىٰ جنة عرضها السمٰوات والأرض يا أم سليم، يا من أكثر ذكرك من جاء بعدك، حتى قال عنك النووي: كانت من فاضلات الصحابيات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]

نسيبة بنت كعب أم عمارة

واحد من الصحابيات الجليلات اللواتي يضرب بهن المثل، ويتخذن قدوة وأسوة.

إنها نسيبة بنت كعب بن عمر بن عوف من بني النجار. سجلت لنفسها حضوراً مع الأوائل من مسلمي الأنصار في بيعة العقبة الثانية.

ومضت أم عمارة في ركب الإسلام وموكب النور داعية ومجاهدة، وشهدت مع زوجها «زيد بن عاصم» وابنيها «عبد الله» و «حبيب» معركة أُحد.

الأب والابنان في ساحات القتال، والأم وراءهما تحمل الماء وتسقي الجرحىٰ.

فما أعظمها من أسرة؟ وما أجله من تعاون؟ وما أحلاه من عمل؟ الكل يأخذ دوره ليساهم في بناء كل ركن، وحَمْلِ كل دعامة، ليشمخ بناء الإسلام عالياً قوياً.

ففي أُحد ظلت أم عمارة تقاتل وتداوي الجرحىٰ، وهي لاهية عن ولدها بقتال الأعداء، حتىٰ نادىٰ رسول الله ابنها فقال:

«اعصب جرحك».

فتنبهت إلىٰ ابنها، فأقبلت إليه، وربطت جرحه، والنبي واقف ينظر إليها، ثم قالت لابنها:

أي بني، انهض فضارب القوم.

فقال رسول الله ﷺ:

«ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟»

وأقبل الرجل الذي ضرب «عبد الله بن زيد» ابنهَا فقال النبي لأم عمارة:

«هذا ضارب ابنك».

فاعترضت نسيبة له، فضربت ساقه، فبرك على الأرض، فتبسم رسول الله ﷺ حتىٰ رأت نواجذه وقال:

«الحمد لله الذي أظفرك، وأقر عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك».

وراحت أم عمارة وأبناؤها يذبون عن رسول الله حتىٰ أقبل «ابن قميئة» يصيح:

دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا.

فاعترض له مصعب بن عمير، وأم عمارة، وحبيب بن زيد بن عاصم، فضرب «ابن قميئة» نسيبة بنت كعب على عاتقها بسيفه فجرحها.

وضربته على ذلك ضربات، ولكن كان عليه درعان فاتقىٰ بهما ضرباتها.

وأقبل رجل من المشركين على فرس، فقال رسول الله «لعبد الله بن زيد»:

«ابن أم عمارة».

قال عبد الله: نعم يا رسول الله.

قال النبي: «ارم».

فرمىٰ عبد الله بن زيد بين يدي رسول الله على ذلك الرجل فأصاب عين فرسه، فاضطرب ووقع هو وصاحبه على الأرض.

ونظر رسول الله إلىٰ أم عمارة وتبسم، وأشار نحو جرحها وقال لعبد الله:

«أمك، أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خيرٌ من مقام فلان وفلان، رحمكم الله من أهل البيت».

فقالت أم عمارة:

يا نبي الله: ادع الله أن نرافقك في الجنة.

فقال النبي ﷺ:

«اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

فقالت نسيبة بنت كعب:

ما أبالي ما أصابني في الدنيا.

ورجع أصحاب رسول الله إلى المدينة، وشدت أم عمارة عليها ثيابها وكان بها ثلاثة عشر جرحاً.

وصاحبت أم عمارة رسول الله فكانت مثال المحبة لرسول الله، الناهلة من هديه وسنته.

وما فات أم عمارة بيعة العقبة كما لم تفتها بيعة الرضوان، والتي سميت بيعة الموت.

وشهدت أم عمارة مع رسول الله خيبر، وروت عن رسول الله حديث:

«إن الصائم إذا أُكل عنده صلّت عليه الملائكةُ».

وأتت أم عمارة رسول الله ذات يوم، فقالت يا رسول الله:

ما أرىٰ كل شيء إلا الرجال، وما أرىٰ النساء يذكرن في شيء. فأنزل الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لقد كانت أم عمارة مجاهدة من ذلك الطراز الذي لا يكل ولا يمل في طلب الشهادة.

جاهدت جهاد الرجال، لا بل سبقت بجهادها الكثير من الرجال، حتىٰ لقد صدق فيها قول الشاعر:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفُضلت النساء على الرجال

خنساء بنت عمرو

صحابية جليلة معروفة.

إنها في عقول وقلوب المسلمين مذكورة لأروع مقارنة صبر بين الخنساء المؤمنة، والخنساء وهي غير مؤمنة.

إنها خنساء بنت عمرو بن الشريد، اسمها تماضر وهي الشاعرة المشهورة المعروفة.

قدمت الخنساء على رسول الله مع قومها وأسلمت معهم، وكان رسول الله يعجبه شعرها ويستنشدها الشعر فكانت تنشده ورسول الله يومىء بيده ويقول:

هيه يا خُناس.

وقد كانت الخنساء في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة، فلما قُتل أخوها «صخر»، وكانت تحبه لجوده وحلمه أكثرت فيه الشعر والرثاء.

وتناقلت الركبان أبياتها وبكاءها على أخيها صخر، حتىٰ بكىٰ لبكائها القريب والبعيد، وأمضت أيامها في البكاء والنحيب.

فكانت تقول:

أعينـــيَّ جـــودا ولا تجمُـــدُا ألا تبكيـــان لصخـــر النـــدَّى
ألا تبكيـــان الجـــريء الجميـــل ألا تبكيـــان الفتـــىٰ السِّيـــدا
طـــويـــل النجـــاد عظيـــم الـــرمـــا د ســـادَ عشيـــرتـــه أمـــردا

ومن قولها فيه:

وإنّ صخـــراً لمـــولانـــا وسيـــدنـــا وإن صخـــراً إذا نَشْتُـــو لنَّحـــارُ
أشـــمُّ أبلـــج يـــأتـــم الهـــداة بـــه كـــأنـــه عَلَـــم فـــي رأســـه نـــارُ

وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

لكنه لا شك أن بحث الخنساء يتناوله الشعراء أكثر من غيرهم.

ونحن ما سقناها ها هنا إلا لنرى عظمة الإسلام في هذه المرأة، هذه المرأة التي التقت رسول الله، وآمنت به، وصدقت برسالته، غيرها الدين الحنيف تغييراً كاملاً.

سَجَّل لها التاريخ موقفاً عظيماً خالداً.

فها هي تقف في سهل القادسية الفسيح، وسط أبناء أربع، فتقول لهم وسط هدأة الليل:

يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا غيره، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم.

وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب

الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلىٰ قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظىٰ على سياقها، وحللت ناراً على أوراقها.

فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة».

فتقدم أولادها الأربع إلىٰ أوائل الصفوف لمقاتلة الفرس، واحتدم القتال، فاقتحموه وهم يرتجزون الشعر.

وتراه ما هو موقفك يا خنساء؟

لقد بلغها النبأ والخبر، فقالت:

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

يا الله ما أعظم الإسلام، وما أعظم صنعه، امرأة أقضّ مضجعها، وهدَّ عودها وأعمىٰ عينها بكاؤها على أخيها فرثته بقصائد وأبيات طوال.

حملتها كل آلام المفجوعين، وصراخ الحزانىٰ المتألمين.

لكنها بالإسلام لا يبلغها نبأ مقتل ابن شاب في مقتبل عمره، بل مقتل أربعة شباب في يوم واحد، وساعة واحدة، فماذا تقول؟

تقول الحمد لله رب العالمين.

إنه وسام عز وفخار وضعته على صدرها يحمل لقب أم الشهداء الأربع.

أجل، الخنساء امرأة دخلت مدرسة الإسلام، فتعلمت فيها كيف تبذل وتضحي في سبيله بكل شيء حتىٰ بأولادها.

ما فهمته اسماً أو لقباً تحمله خالياً من كل تضحية وفداء، فهل تعلمتم يا نساء المسلمين اليوم؟؟!

هل تعلمتم منها التضحية والفداء!!؟

هل تعلم المسلمون اليوم إن الإسلام ما وجد إلا ليغير الطباع، ويقلب النفوس، لتتواءم مع ما يرضي الله ورسوله.

أم شريك الدوسية

أدركت النساء المسلمات أن لهن دوراً بارزاً في حياة الدعوة الإسلامية، وأن عليهن واجباً يجب أن يقدمنه في سبيل إعلاء كلمة الله، ونصرة دينه.

وكان أن اتجهت النسوة المعلمات إلى بنات جنسهن، ينشرن بينهن تعاليم الإسلام السمحة، ويحببن إليهن الإيمان والعمل الصالح، ومن هؤلاء الداعيات كانت الصحابية «أم شريك» وإليكم قصتها:

أسلمت «أم شريك» في مكة المكرمة، وكانت زوجة «لأبي العسكر الدوسي».

وما إن عرفت حقيقة الإسلام وجوهره حتى انطلقت إلى جاراتها وقريباتها بمكة.

يقول ابن عباس:

ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتىٰ ظهر أمرها لأهل مكة.

فأخذوها وقالوا:

لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردّك إليهم.

قالت:

فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثاً ـ ثلاثة أيام ـ لا يطعموني ولا يسقوني.

وهذه المعاناة يتعرض لها كل الدعاة إلى مبادىء الحق والنور والهداية، فعليهم بالصبر والثبات وتحمل المصاعب.

وتتابع أم شريك:

وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس، واستظلوا هم منها، وحبسوني عن الطعام والشراب.

فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس، إذا أنا ببرد شيء على صدري، فأخذته فإذا هو دلو من ماء.

فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني فرُفع، ثم عاد، فأخذته، فشربت منه، ثم رفع، ثم عاد، فأخذته، ثم رفع مراراً.

ثم تركت فشربت حتى رويت، ثم أفضت ـ صببت ـ سائرة على جسدي وثيابي.

فلما استيقظ القوم رأوا أثر الماء عليّ، ورأوني حسنة الهيئة، كأنني لم أكن مقيدة.

فقالوا لي:

انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟

قلت: لا والله، لكنه كان من الأمر كذا وكذا.

قالوا:

لئن كنت صادقة لدينُكِ خير من ديننا.

فلما نظروا إلىٰ أسقيتهم وجدوها كما تركوها. فأسلموا عند ذلك.

أم ورقة الأنصارية

صحابية جليلة من الصحابيات الكرام، امتازت بشيء ميزها عن غيرها من النسوة في ذلك العهد الطاهر.

لقد جمعت أم ورقة القرآن الكريم في عهد رسول الله، وحفظته، وفهمت معانيه.

كانت من أولئك الصحابيات اللواتي شغفن بكتاب الله وبهدي رسول الله، فأكببن عليه يعبقن من عبيرهما، ويرتشفان من ينبوعهما.

آمنت أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية فكانت بإيمانها من السابقات إلى الإسلام والمبايعات لرسول الله على حمله ونشره.

وما أجملها من لحظات عاشتها هذه الصحابية حين رأت رسول الله وافداً إلىٰ المدينة مع صاحبه الصديق.

وقفت مع أخواتها المؤمنات وقد تحركت قلوبهن للنور المحمدي، فتحركت ألسنتهن مع قلوبهن لتعزف لحن المحبة ولحن المودة لرسول الله.

وذلك اللحن والنشيد الذي رددته أصداء الفضاء وجنباته، فردده المسلمون جيلاً بعد جيل.

طلع البدر علينا . . . . . . من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا . . . . . . ما دعا للخير داع

ونزل رسول الله بالمدينة فراحت هذه الصحابية تنهل من معين علمه وهديه، وتتشرب كلام الله وآياته كالأرض العطشىٰ، حتىٰ اشتهرت بحفظ القرآن وتلاوته.

وجاءت معركة بدر الكبرىٰ، ونادىٰ رسول الله صحابته أن هلموا للجهاد وهلموا للفوز بمرضاة الله.

فجاءت أم ورقة إلىٰ رسول الله تسعىٰ وقد سمعت النداء وقالت: يا رسول الله:

ائذن لي أن أخرج معكم، أداوي جرحاكم، وأمراض مرضاكم لعل الله تعالىٰ يهدي إليَّ الشهادة.

فقال لها رسول الله ﷺ:

«إن الله يهديك الشهادة، وقري في بيتك فإنك شهيدة».

ورجعت أم ورقة تحمل في قلبها هذه البشارة من رسول الله فهي ستنال الشهادة.

وكيف لا؟ ورسول الله هو الذي أخبرها بذلك، وهو رسول الله، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحىٰ.

ولزمت أم ورقة بيتها وقد شغفت بالعلم وبالعبادة، وتعاهدت كتاب الله تتلوه حق تلاوته.

وكان لها مكانة طيبة عند رسول الله فكان يخصها بالزيارة بين الفينة والأخرىٰ.

فما أكثر ما سمع الصحابة رسول الله يقول لهم:

«انطلقوا فزوروا الشهيدة».

ولقد أذن رسول الله لأم ورقة أن تؤم النساء من أهلها، فقد كانت من الحافظات التاليات للقرآن حتىٰ إنها استأذنت رسول الله أن تتخذ في بيتها مؤذناً فَجُعِل لها مؤذن يؤذن لها.

فجمعت أم ورقة لقباً كريماً وأي لقب؟؟

لقد اشتهرت بين الصحابة بالشهيدة القارئة.

ولكن متىٰ؟ وكيف ستكون هذه الشهيدة في عداد الشهداء عند ربهم؟؟ لقد كان لأم ورقة غلام وجارية، وكانت قد وعدتهما بالعتق بعد موتها وسولت النفس الأمارة بالسوء لهذين العبدين (الغلام والجارية) قتل أم ورقة.

فقاما إليها بالليل فغمياها ثم قتلاها وهربا.

وأصغىٰ عمر رضي الله عنه في هدأة الليل إلىٰ هذا الصوت الذي اعتاد أن يسمعه كل يوم وليلة لكنه ما سمع شيئاً.

فلما أصبح قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة، فدخل دارها فلم يرَ شيئاً.

فدخل البيت فإذا أم ورقة ملفوفة في قطيفة في جانب البيت، فقال عمر:

إنا لله وإنا إليه راجعون صدق رسول الله ﷺ لقد كان يقول:

«انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

وقام عمر بن الخطاب في الناس وقال:

إن أم ورقة غمها غلامها وجاريتها، فقتلاها، وإنهما هربا،

ثم أمر بطلبهما، فأدركا، وأتي بهما فسألهما فأقرا أنهما قتلاها فأمر بهما فصلبا.

فكانا أول مصلوبين بالمدينة المنورة.

وبذلك نالت أم ورقة الشهيدة القارئة الحافظة التالية لكتاب الله ما كانت تتمناه ورزقها الله الشهادة فإلى رحاب الشهداء، وإلى فسحة الجنان أيتها الشهيدة الطاهرة.

أم الفدائي

أدركت النساء المسلمات أن لهن دوراً هاماً في تنشئة أبنائهن على حب الله عز وجل، وحب رسوله ﷺ، وحب التمسك والالتزام بتعاليم الإسلام وهديه.

وعلمت النساء أن البيئة الصالحة المؤمنة، وحسن التربية تنتج أبناءاً صالحين مستقيمين، وفتيات طاهرات عفيفات، فسعين لتحقيق ذلك الهدف، وتلك المهمة النبيلة.

وهذه قصة امرأة دفعت بابنها الشاب إلى ساحات الجهاد في سبيل الله بعد أن أحسنت تربيته وتعليمه:

قال أبو قدامة الشامي:

كنت أميراً على الجيش مع بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلىٰ الغزو، ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها.

ثم تفرق الناس، وركبت فرسي، وسرت إلىٰ منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي:

يا أبا قدامة.

فقلت:

هذه مكيدة من الشيطان، فمضيتُ ولم أُجب.

فقالت:

ما هكذا كان الصالحون!

فوقفتُ، فجاءت ودفعت إليّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية.

فنظرتُ إلىٰ الرقعة فإذا فيها مكتوب:

إنك دعوتنا إلىٰ الجهاد، ورغبتنا في الثواب، ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ، وهي ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك لعل الله يرىٰ شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

فلما كان صبيحة القتال إذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل، فتقدمت إليه وقلت:

يا فتىٰ أنت غلام غِرٌّ راجل، ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا.

فقال:

أتأمرني بالرجوع وقد قال تعالىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٥/١٦].

فحملتُه على هجين كان معي، فقال:

يا أبا قدامة: أقرضني ثلاثة أسهم.

فقلت:

أهذا وقت قرض؟

فما زال يلح عليّ حتىٰ قلتُ:

بشرط إن منّ الله بالشهادة أكون في شفاعتك!.

قال: نعم.

فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهماً في قوسه وقال:

السلام عليك يا أبا قدامة.

ورمىٰ به فقتل رومياً.

ثم رمىٰ بالآخر وقال:

السلام عليك يا أبا قدامة.

فقتل رومياً.

ثم رمىٰ بالآخر وقال:

السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم، فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على سرجه، فتقدمت إليه وقلت:

لا تنسنا.

فقال:

نعم، ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلتَ المدينة فأت والدتي وسلّم خرجي إليها وأخبرها، فهي التي أعطتك شعرها ليكون لجاماً لفرسك، وسلم عليها، فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي، ثم مات.

فحفرتُ له ودفنته.

فلما هَمَمْنا بالانصراف عن قبره قذفتْهُ الأرض، فألقته على ظهرها!!

فقال أصحابي:

إنه غلام غرٌّ، ولعله خرج بغير إذن أمه.

فقلت:

إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا.

فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل، فسمعت صوتاً يقول:

يا أبا قدامة، اترك وليَّ الله.

فما برحتُ حتىٰ نزلت عليه طيور بيض فأكلته.

فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلما قرعت الباب خرجت أخته إلي، فلما رأتني عادت وقالت:

يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أصابنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إليّ فقالت:

أمعزياً أم مهنئاً؟؟

فقلت:

ما معنى هذا؟

فقالت:

إن كان مات فعزّني، وإن كان استشهد فهنئني.

(هذا ما فعله الإسلام بهذه المرأة، لقد سمعت خبر استشهاد ابنها، فلم تضرب صدرها، ولم تلطم خدها، ولم تشق ثيابها، ولم تصرخ بأعلى صوتها، بل تقبلت المصاب بصدر مطمئن،

وبنفس مؤمنة رضية.

لقد كانت تعلم أن الله وهبها إياه، وأنه هو الذي أخذ هبته، وأن الأمور كلها بيده يسيرها كيف شاء.

فقلت:

لا، بل مات شهيداً.

فقالت:

له علامة، فهل رأيتها؟

قلت:

نعم، لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه، وتركت عظامه فدفنتها.

فقالت:

الحمد لله.

فسلمت إليها الخرج، ففتحته فأخرجت منه مِسْحاً وغُلاًّ من حديد وقالت:

إنه كان إذا جنّه الليل لبس هذا المسح، وغل نفسه بهذا الغل، وناجىٰ مولاه، وقال في مناجاته:

اللهم احشرني من حواصل الطيور.

فقد استجاب الله دعاءه.

عمرة بنت عبد الرحمن

رأىٰ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة الإمام الفاضل والتابعي المشهور محمد بن شهاب الزهري وهو يجتهد في طلب العلم.

فقال له القاسم:

أراك تحرص على العلم أفلا أدلك على وعائه؟؟

قال الزهري متلهفاً: بلىٰ.

قال: عليك «بعمرة بنت عبد الرحمن» فإنها كانت في حجر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال الزهري: فأتيتها، فوجدتها بحراً لا ينزف.

و «عمرة» هذه هي إحدى النساء التابعيات اللواتي سطرن لأنفسهن مكانة في سجل الخلود، فعُرفت «عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد الأنصارية» بالعالمة الفقيهة ذات فقه وعلم واختصاص بمعرفة أحوال وأخبار الأستاذة والمعلمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

كانت عالمة، ثقة حجة، كثيرة العلم.

وهكذا فلتكن النساء يتصدرن مكانهن بين العلماء، حتىٰ قال عنها عالم جليل هو «سفيان بن عيينة».

وقد ذكر اثنين من فقهاء المدينة السبعة هما:

القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بين الزبير.

ثم عزز هذين العلمين بثالث من الثقات هو «عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية» وقال:

هؤلاء الثلاثة هم أعلم الناس بحديث عائشة أم المؤمنين، فكانت عمرة واحدة من النساء الاتي تركن أثراً بارزاً خالداً في التاريخ العلمي في صدر الإسلام.

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن

حافظة لكتاب الله، عالمة بالحديث، سمع الشافعي حديثها.

ظَلَمَ حاكم مصر في عهدها، فلجأ إليها أناسٌ يشكون إليها ظلمه وتوجهوا إليها، فقالت لهم:

متىٰ يركب؟

قالوا: في غدٍ يدخل إلى المدينة.

فكتبت رقعةً، ووقفت بها في طريقه، فأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها.

«ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخوّلتم فعسفتم، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا. حار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون.

وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلىٰ الله متكلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون». فعدل الحاكم بعدها لوقته.

وجاءتها سكرة الموت واحتضرت وهي صائمة، فألحوا إليها أن تفطر:

فقالت: واعجباً منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالىٰ أن ألقاه وأنا صائمة، أأفطر الآن؟ هذا لا يكون وقرأت من سورة الأنعام.

﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ماتت ودفت في القاهرة.

المتكلمة بالقرآن

خرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيّه عليه الصلاة والسلام، بينما أنا في الظريق، إذ أنا بسواد، فتميّزت ذاك، فإذا عجوز عليها درع من صوف وخمار.

فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالت: سلامٌ قولاً من رب رحيم.

فقلت: يرحمك الله، ما تصنعين في هذا المكان؟

قالت: ومَن يضلِل الله فما له من هاد.

فعلمت أنها ضالّة في الطريق.

فقلت لها: أين تريدين؟

قالت: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى.

فعلمت أنها قضت حجّها، وهي تريد بيت المقدس.

فقلت: أنتِ منذ كم في هذا الموضع؟

قالت: ثلاث ليالٍ سويّاً.

فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين.

قالت: هو يُطعمني ويسقين.

فقلت: فبأي شيء تتوضئين؟

قالت: فإن لم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيّباً.

فقلت لها: إن معي طعاماً، فهل لكِ في الأكل؟

قالت: ثم أتمّوا الصيام إلى الليل.

فقلت: قد أُبيحَ لنا الإفطار في السَفَر.

قالت: وأن تصوموا خير لكم، إن كنتم تعلمون.

فقلت: لِمَ لا تُكلميني مثلما أُكلمك؟

قالت: ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيبٌ عتيد.

قلت: من أي الناس أنتِ؟

قالت: ولا تقفُ ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولا.

قلت: قد أخطأتُ فاجعليني في حِلّ.

قالت: لا تثريبَ عليكم اليوم، يغفر الله لكم.

قلت: فهل لكِ أن أحملكِ على ناقتي فتُدركي القافلة؟

قالت: وما تفعلوا من خير يعلمه الله.

قال: فأنختُ الناقة.

فقالت: قُل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم.

فغضضت بصري عنها.

وقلت لها: اركبي، فلمّا أرادت أن تركب، نفرت الناقة، فمزّقت ثيابها.

فقالت: وما أصابكم من مُصيبة فبما كسبت أيديكم.

فقلت لها: اركبي؟.

قالت: سبحان الذي سخّر لنا هذا، وما كنّا له مُقرنين، وإنّا إلى ربنا لمُنقلبون.

قال: فأخذتُ بزمام الناقة، وجعلتُ أسعى وأصيح.

فقالت: واقصِد في مشيك، واغضض من صوتك.

فجعلت أمشي رويداً رويداً، وأترنّم بالشعر.

فقالت: فاقرؤوا ما تيسّر منه.

فقر وإيثار

أراد «عبد الله»بن أخت «مسلم بن سعد» الحج فدفع له خاله عشرة آلاف درهم.

وقال له: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم إياه، فلما دخلتُ سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدُللت على أهل بيت.

يطرق الباب فتجيبه امرأة من داخل البيت:

من أنت؟

يجيب قائلاً: أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف، وأمرت أن أسلّمها إلى أفقر بيت بالمدينة، وقد وُصفتم لي فخذوها.

فقالت: يا عبد الله إن صاحبَكَ اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا.

فتركهم وأتىٰ أولئك الذين بجوارهم.

طرق الباب، فردت عليه امرأة من خلف الباب:

من أنت؟

فقال لها ما قاله لجارتها، وما قالته جارتها.

فقالت:

يا فلانة! إنك تعلمين أنك كنت أحب الناس إلي وأعزّهم علي، وقد حل لنا الرجعة، فهل لك في ذلك!؟

قلت: ما أكره ذلك ولكن تصير أمر ابنة عمتي بيدي!.

قال: فإني قد فعلت، صيَّرتُ أمر ابنة عمتك بيدك.

وفاء زوجة

أراد أهل زوجة أن يفرقوا بين الزوج وابنتهم لفقر نزل به بعد غنىٰ.

فرفعت شكواهم إلىٰ الحاكم ليفصل بينهم، فأمر الحاكم بإحضارها، فلما مثلت بين يديه راقه جمالها.

فقال لزوجها: إننا نخيرها بيننا.

فقال الزوج: ذلك إليك.

فوجه الحاكم نحوها وقال: يا سعدىٰ أينا أحب إليك الملك في عزه وشرفه وقصوره، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟

فأشارت الزوجة إلى زوجها وأنشأت تقول:

هذا وإن كانَ في جوعٍ وأطمار أعز عندي من أهلي ومن جاري

ثم قالت:

لست واللهَ لحدثانِ الدهر بخاذلته، ولقد كان لي معه عيشة راضية، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء، وعلى الشدة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لي منه.

فتعجب الحاكم من عقلها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم.

توبة امرأة بارعة الجمال
أرادت أن تفتن الربيع بن خيثم

عن أبي القاسم محرز الجلاَّب قال: حدثني سعدان، قال:

أمرَ قومٌ امرأةً ذاتَ جمالٍ بارع أن تتعرّضَ للرّبيع بن خَثْيم لعلّها تفتنه، وجعلوا لها، إن فعلَتْ ذلك، ألفَ درهم، فلبست أحسنَ ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيبِ ما قدرت عليه، ثم تعرَّضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرُها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لوقد نزلت الحمىٰ بجسمك، فغيّرت ما أرىٰ من لونك وبهجتك أم قد نزل بك ملَكُ الموت فقطع منكِ حبل الوتين.

أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟

فصرخَتْ صرخةً فسقطت مغشيّاً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربِّها ما أنها كانت يومَ ماتت كأنّها جِذْع محترق.

تَوْبَةُ فتىً وجَاريةٌ جميلةٌ أحبَّ كلٌّ منهما الآخر

عن رجَاء بن عمر النَّخَعيّ، قال:

كان بالكوفة فتىً جميلُ الوجه، شديدُ التعبُّد والاجتهاد، وكان أحدَ الزهَّاد، فنزلَ في جوار قوم من الَنخَع، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلةٍ، فهويَها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به. فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنّها مسماة لابن عمٍّ لها. واشتدّ عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبّتك لي، وقد

اشتد بلائي بك لذلك، مع وجدي بك. فإن شئتَ زرتك وإن شئتَ سهَّلْتُ لك أن تأتيَني إلى منزلي. فقال للرسول: لا واحدةَ من هاتين الخصلتين؛ ﴿إنّي أخَافُ إنْ عَصَيْتُ ربِّي عَذَابَ يومٍ عظيم﴾، أخاف ناراً لا يخبو سعيرُهَا ولا يخمد لهبُها، فلما انصرفَ الرَّسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله تعالى؟! والله ما أحدٌ أحقُّ بهذا من أحد، وإنَّ العِبَادَ فيه لمُشركون. ثم انخلعت من الدُّنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المسوح، وجعلت تعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبّاً للفتى وأسفاً عليه، حتّى ماتت شوقاً إليه، فكان الفتى يأتي قبرَها. فرآها في منامه وكأنّها في أحسن منظر، فقال: كيف أنتِ، وما لقيت بعدي؟ فقالت: [من البسيط].

نعْمَ المحَبَّةُ يا حبيبي حُبُّكا حبٌّ يقُودُ إلى خيْرٍ وإحسانِ

فقال على ذلك: إلام صرتِ؟ فقالت:

إلى نعيمٍ وعيْشٍ لا زوالَ له في جَنَّةِ الخلد ملكٌ ليس بالفَاني

فقال لها: اذكريني هناكَ فإنّي لستُ أنْسَاكِ. فقالت: ولا أنا والله أنساكَ، ولقد سألتُك ربي، مولاي ومولاك، فأعانني على ذلك بالاجتهاد. ثم ولّتْ مدبرة، فقلت لها: متى أراكِ؟ قالت: ستأتينا عن قريب، فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلاّ سبعَ ليالٍ حتَّى مات رحمهما الله.

قالوا عن المرأة

في الأحاديث النبوية

ـ «إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال: يُذهب البهاء عن الوجه، ويقطع الرزق، ويُسخط الرحمٰن، ويوجب الخلود في النار». (رواه الطبراني عن ابن عباس).

ـ «أيما امرأة ماتت، وزوجها راضٍ عنها، دخلت الجنة». (رواه الترمذي).

ـ «الحياء لا يأتي إلا بخير». (متفق عليه).

ـ «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس. وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً. وأحبّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب». (رواه الطبراني عن خزيمة بن ثابت).

ـ «مَن زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه». (رواه الحكيم عن أبي هريرة).

ـ «ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة، ثم يغضّ بصره، إلاّ أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه». (رواه أحمد).

ـ «غفر لامرأة مومس، مرّت بكلب على رأس ركي يلهث، قد كان يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك». (رواه البخاري عن أبي هريرة).

ـ «عِفّوا عن نساء المسلمين تعف نساؤكم. وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومَن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك منه، محقاً كان أو مبطلاً، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض». (رواه الحاكم عن أبي هريرة).

ـ «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل، الصائم النهار». (رواه الشيخان عن أبي هريرة).

ـ «صنائع المعروف تقي مصارع السوء. والصدقة خفياً تطفىء غضب الرب. وصلة الرحم تزيد العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول مَن يدخل الجنة أهل المعروف». (رواه الطبراني عن أم سلمة).

ـ «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم». (رواه ابن عساكر عن علي).

ـ «خير نسائكم العفيفة الغَلِمَة: عفيفة في فرجها، غَلِمَة على زوجها». (رواه ابن عساكر عن علي).

ـ «الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر». (رواه أبو نعيم عن ابن عمر).

في الأمثال

ـ الحلاوة في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم، ويعوّض كل ذلك في الأخلاق العالية.

ـ ثلاثة أشياء عابرة: الصدى، قوس قزح، جمال المرأة، ولا يبقى إلا الخلق والدين.

ـ جمال المرأة بلا عفة، مثل سم في إناء من ذهب.

ـ إننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار.

ـ المرأة ممرّضة بطبعها، لا يكسبها إلا من كان في قلبه جروح.

ـ لسان المرأة سر شقائها.

ـ النساء كالعنقود، ينبغي أن تبقيهن مشغولات، وإلا فقدن فائدتهن وسعادتهن.

- الرجل الرقيق تحترمه المرأة، ولكنها تحب الرجل الخشن.
- إن الذي يعلم الفتاة كيف تحب، كالذي يعلم الماء كيف ينحدر.
- أجنحة الحب العاطفي تحلق بالنساء العفيفات الرقيقات في آفاق عالية، تكاد تذيقهن لذات الجسد.
- ما أقدس الرجال، لو كان حبهم للفضيلة كحبهم للمرأة.
- المرأة أجمل عصفور يغرد على وجه الأرض.
- قد يُغْني جمال المرأة عن ذكائها، ولكنه لا يغني أبداً عن قلبها.
- إن مباهات المرأة بجمالها إقرار منها بأنه ليس لديها سواه جدير بمباهاتها.
- المرأة التي تتحدث بعينيها أجمل بكثير وأكثر جاذبية من التي لا تكف عن الكلام.
- كانت المرأة من السلف الصالح إذا أراد زوجها الخروج لطلب الرزق تقول له: إياك والحرام.
- جمال بدون شرف، زهرة بدون عطر.
- إذا كان الجمال هو الذي يثير الحب، فإن الحنان هو الذي يصون الحب.
- إن جمال المرأة لا يساوي شيئاً إلى جانب سلوكها.
- الزوجة التي تجلب الأنظار لا تدعها تمشي وراءك.
- إذا نجح زواج ابنتك فقد كسبت إبناً، وإذا فشل فقد خسرت بنتاً.
- امرأة بلا زوج، أرض بلا بذر.
- كلما ازداد حب المرأة لزوجها استطاعت تصحيح أخطائه، وكلما زاد حب الرجل لامرأته ازدادت عيوبها.

باقة من الأخلاق
في الحكم والأمثال والأخبار والأشعار

- إن الأسرة هي الخلية الأولىٰ في المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، ولن تكون هذه الخلية صالحة إلا إذا قامت علىٰ أسس متينة من الأخلاق الكريمة والآداب الجليلة يتمتع بها كل فرد من أفراد هذه الخلية لتدوم أواصر المحبة والمودة وفيها، وبالتالي يرفرف الود والحب والسلام في أرجاء هذا المجتمع.

- ونورد الآن جملة من هذه الأخلاق والآداب مشفوعة بالآيات القرآنية المشرفة والأحاديث النبوية والحكم والأمثال والأشعار.

الأدب:

- طلب الأدب أولىٰ من طلب الذهب.

- لا كنز أنفع من العلم ولا شيء أربح من الأدب، ولا قرين أزين من العقل.

- الغريب من لا أدب له.

- من قعد به حسبه، نهض به أدبه.

- أدب المرء خير من ذهبه.

بعض الآداب:

- «ليسلم الراكب على الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير».

ـ «لا يقيمنَّ أحدكم رجلاً من مجلسه، ثم يجلس فيه، ولكن توسّعوا وتفسّحوا».

ـ «إذا كنت في الصلاة، فاحفظ قلبك، وإذا كنت عند الناس، فاحفظ عينك، وإذا كنت في المجلس، فاحفظ لسانك، وإذا كنت علىٰ الطعام فاحفظ بطنك».

ـ «يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك».

إذا لم يسترِ الأدب الغواني فلا يغني الحرير ولا الدمقس

الأخلاق:

ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤].

ـ وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ «فقالت: كان خلقُه القرآن».

ـ «حسن الخلق: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى».

ـ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً».

ـ «حسن الخلق خير قرآن».

ـ «حسن الخلق أحد مراكب النجاة».

ـ من لا أخلاق له لادين له.

الناس أخلاقهم شتّىٰ وإن جبلوا علىٰ تشابه أرْوا وأجسادِ
للخير والشر أهلٌ وُكِّلوا بهما كلٌ له من دواعي نفسه هادِ
منهم خليل صفاء ذو محافظة أرسى الوفاء أواخيه بأوتادِ

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

صلاح أمرِكَ للأخلاق مرجعُه فقوِّم النفس بالأخلاق تستقمِ

من هذه الأخلاق:

الأمانة:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

- آية المنافق ثلاث: «إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤمتن خان».

- «اضمنوا لي شيئاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم».

- «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

- «لا تتعهد بعمل ما لا طاقة لك به، ولكن اصرف كل همّك للقيام بوعدك».

- «آفة المرء خلف الوعد».

- «أنجزَ حُرٌّ ما وعد».

- «وعد المحبين وعهودهم كلام بكلام».

- «وعد بلا وفاء عداوة بلا سبب».

ارعَ الأمانةَ والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم بطيب المكسبِ

إذا قلت في شيء: (نعم) فأتِمَّه فإن (نَعَم) دين علىٰ الحر واجب

وإلا فقل: (لا) تسترح، وترح بها لئلا يقول الناس: إنك كاذب

ـ «إني لأبغض أهل بيتٍ ينفقون رزق أيام في يوم واحد».
ـ «من أنفق ولم يحسب، هلك ولم يدرِ».
«لا تستحِ من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه».
«أنت في الحياة تسمو، بقدر ما تعطي، لا بقدر ما تأخذ».
«من يعطي باليد القصيرة، يُعطىٰ باليد الطويلة».
«الإسراع في العطاء يفي العطاء مرتين».

أرىٰ الناس إخوان الكريم، وما أرىٰ بخيلاً له في العالمين خليل

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به فإنه أحمق بالحرص ينتحرُ

لا تسقني ماء الحياة بذلّة بل فسقني بالعزّ كأس الحنظل

ماء الحياة بذلّة كجهنم وجهنم بالعزّ أطيب منزلِ

إني امرؤ ما في إنائي شركة أنتَ امرؤٌ ما في إنائكَ واحد

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد

البر:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

- «إن أبرّ البِرِّ أن يصل الرجل وُدَّ أبيه».

- «البِرُّ حسن الخُلق».

- «الرحمة معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

- «خير البر عاجله».

بنـــيّ: إن البِـــرَّ شـــيءٌ هيّـــنْ وجـــه طليـــق، وكـــلام ليّـــنُ

التعاون والتضامن:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

«وتعاونوا على البر والتقوى».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً».

«والله في عون العبد، ما دام العبد في عون أخيه».

التواضع:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر: ١٠].

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

ـ «لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جرَّ إزاره بَطَراً».

ـ «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلٍّ جواظٍ مستكبر».

ـ «إن الله أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا، حتىٰ لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد».

ـ «تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد منكم علىٰ أحد».

ـ «الفلق سجن في جهنم، يحبس فيه الجبّارون والمتكبرّون، وإن جهنم لتتعوذ بالله منه».

ـ «إذافعلت كل شيء، فكن كمن لم يفعل شيئاً».

ـ «اللهم: أعزني ولا تبتلِني بالكبر، واعصمني من الفخر.

اللهم: ولا ترفعني في الناس درجة، إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي.

اللهم: سدد لي أن أعارض من غشني بالنصح، وأكافىء من قطعني بالصلبة».

ـ «التواضع مع البخل، أحسن من السخاء مع التكبر».

ـ «ندنو من العظمة، بقدر ما ندنو من التواضع».

- «تاج المرء التواضع».

- «أحب الخلق إلى الله المتواضعون».

- «لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع».

- «ألِنْ جانبك لقومك يحبّوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك».

- «أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة».

- «تواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن تعلّمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء».

- «التواضع في الشرف، أشرف من الشرف».

- «اسمان متضادان بمعنى واحد: التواضع والشرف».

التأني:

- «إذا أراد أحدكم أمراً فعليه بالتؤدة».

- «العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمٰن».

- «لا تطلب سرعة العمل بل تجويده، لأن الناس لا يسألونك في كم فرغت منه بل ينظرون إلى إتقانه وجودة صنعه».

- «الخطأ زاد العجول».

- «في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة».

- «من تأنّى نال ما تمنّىٰ».

التوبة:

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩].

ـ «اقلعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلّاعة تنزع إلىٰ شر غاية. إن هذا الحق ثقيل، وإن الباطل خفيف، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً».

ـ «سئل مالك بن دينار رضي الله عنه عن سبب توبته، فقال: كنت أشرب الخمر وكانت لي بنت صغيرة تريق الخمر من بين يدي فلما بلغت عامين ماتت فوقع حزنها في قلبي فلما كانت ليلة النصف من شعبان، رأيت كأن القيامة قد قامت وإذا بتنين عظيم قد فتح فاه وقصدني فهربت منه فرأيت شيخاً طيب الرائحة فقلت له أجرني أجارك الله فبكي، وقال: أنا ضعيف ولكن أسرع إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فتستنصرك فنظرت إلى جبل من فضة فلما قربت منه نادى بعض الملائكة افتحوا الأبواب فلعل أن يكون لهذا عندكم وديعة فتجيره من عدوه ففتحت الأبواب وإذا بابنتي وقد أخذتني بيدها اليمنى ومدت يدها اليسرى إلى التنين فرجع هارباً ثم قالت: يا أبت ألم بان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقلت لها: أتعرفون القرآن؟ قالت: نعم، فقلت: أخبريني عن التنين، قالت: عملك السيء والشيخ هو عملك الصالح، قال: فاستيقظت مرعوباً وعقدت التوبة مع الله تعالى.

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

تـرجـو النجـاة ولـم تسلـك طـريقتهـا إن السفينـة لا تجـري علـى اليبس
إذا مـا خلـوتَ الـدهـر يـومـاً فـلا تقـل : خلـوتُ، ولكـن قـل: علـيَّ رقيـب
ولا تحسبـنَّ الله يغفـل لمحـة ولا أنّ مـا يخفـى عليـه يغيـب
ألـم تـرَ أن اليـوم أسـرع ذاهـب وأن غـداً للنـاظـريـن قـريـب
إذا كـانـت الخمسـون سنّك لـم يكـن لـدائـكَ إلاّ أن تمـوت طبيـب
وإن امـرءاً قـد سـار سبعيـن حجـة إلـى منهـل مـن ورده لقـريـب
إذا مـا انقضـى القـرن الـذي أنـتَ منهـم وخلّفـتَ فـي قـرن فـأنـتَ غـريـب
لَهَـوْنـا عـن الأَعمـال، حتـى تتـابعـت علينـا ذنـوب بعـدهـنَّ ذنـوب
فيـا ليـتَ أن الله يغفـر مـا مضـى ويـأذن لـي فـي تـوبـة فـأتـوب

الجمال والمظهر:

- «الجمال طغيان قصير الأجل».
- «الجمال استبداد مؤقت».
- «الجمال حلية الطبيعة لإثارة الحب».
- «الثلج نقاوة كاذبة».
- «ليس كل ما يلمع ذهباً».
- «ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء فحمة».
- «الأنهار الأكثر عمقاً هي الأكثر هدوءاً».
- «البقرة السوداء تعطي حليباً أبيضاً».
- «أجمل العصافير هي الأبشع صوتاً».

والذي نفسه بغير جمال لا يرىٰ في الوجود شيئاً جميلاً
ليـس الجمـال بـأثـواب تـزيّننـا إن الجمـال جمـال العلـم والأدب

حرمك، وتصل من قطعك».

ـ «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

ـ «إن الله يحب الرفق في الأمر كله».

ـ «اثنتان لا تنساهما أبداً: ذكر الله والموت... واثنتان لا تتذكرهما أبداً: إحسانك إلى الناس، وإساءة الناس إليك».

ـ «أعقل الناس أعذرهم للناس».

ـ «إذا قدرت على عدوّك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه».

ـ «أولىٰ الناس بالعفو، أقدرهم علىٰ العقوبة».

ـ «شر الأشرار من لا يقبل الأعذار».

ـ «لأن أندم على العفو، خير من أن أندم علىٰ العقوبة».

ـ «أشرف الثأر العفو».

ـ «أحلمكم عند الغضب أقربكم إلىٰ الله».

ـ «أفضل الأعمال: الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع».

ـ «اللهم: إنك بما أهل له من العفو، أولىٰ بما أهل له من العقوبة».

ـ «ظفر المأمون برجل كان يطلبه، فما دخل عليه أمر بضرب عنقه، فقال الرجل، دعني يا أمير المؤمنين أنشدك أبياتاً، فقال:

زعموا بأن الباز علّق مرة ... عصفور إبر سَامَهُ المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه ... والباز منقضّ عليه يطير
ما بي لما يغني لمثلك شبعة ... ولئن أُكلتُ فإنني لحقير
فتبسم البازُ المُدِلُّ بنفسه ... كرماً، وأُطلِقَ ذلك العصفور

فلما سمع المأمون ذلك أطلقه، وخلع عليه، ووصله».

ـ «كان الحطيئة شاعراً هجّاء، ولم يسلم منه أحد، ونهره أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب فلم ينتهِ، فسجنه فأنشده الحطيئة:

ما ذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ زغبِ الحواصل، لا ماءُ ولا ثمرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

فعفا عنه عمر، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم».

الحياء:

- «الحياء شعبة من شعب الإيمان».
- «الحياء لا يأتي إلا بخير».
- «الحياء زينة والتقىٰ كَرَم، وخير المركب الصبر، انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة».
- «من قلّ حياؤه، قلّ ورعه».
- «إذا قلّ الحياء عمّ البلاء».

الصبر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

- «الصبر ضياء».
- «ومن يتصبّر يصبّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر».
- «وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».

الصدق:

- «إن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».
- «يأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف والصلة».
- «عليك بالصدق، وإن قتلك».
- «إذا كنتَ صادقاً، فلماذا تحلف؟...»
- «الكذب رداء، والصدق شفاء».

الصداقة

- «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقيّ».
- «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالِل».
- «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في غيبته، ونكبته، ووفاته».
- «إن كل أمجاد هذا العالم لا تعادل صديقاً صادقاً».
- «صديقي هو شخصي الثاني».
- «وحدة المرء خير من جليس السوء».
- «الصديق عند الضيق».
- «قل لي من تعاشر، أقل لك من أنت».
- «لا تقطع صديقاً وإن كفر، ولا تركن إلى عدوٍ وإن شكر».
- «من صاحب العلماء وُقِّر، ومن صاحب السفهاء حُقِّر».
- «عدو عاقل خير من صديق جاهل».

الصدقة :

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

ـ «إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات للفقراء، فما جاع فقير، إلا بما مُتِّع غني».

ـ «كان لبعض قضاة البصرة بنت عابدة فخرجت يوماً إلى واعظ يتكلم في فضل الصدقة، فجاءها سائل، فقالت لجارتها: خذي هذه الجوهرة من ذؤابتي وادفعيها له وكانت مستعجلة خوفاً من أبيها فقطعت ذؤابتها ودفعتها للسائل فأخذ الجوهرة وألقى الذؤابة فذهب بعض الفساق إلى أبيها وقال: إن ابنتك قد فعلت الفاحشة وذؤابتها مقطوعة فأخبرها أبوها بذلك فقالت: معاذ الله، فقال: أريد أن أنظر إلى ذؤابتك فقالت حتى أصلي ركعتين فقالت في سجودها: إلهي لك أملت ولك تصدقت وعليك توكلت فلا تفضحني بين يدي والدي فلم ترفع رأسها حتى ألقى الله على رأسها عشر ذؤبات في كل ذؤابة جوهرة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فخرجت إلى أبيها وعليها الوقار فتعجب من ذلك فأخبرته بأمرها وأخبرها بمن أخبره فقالت اعف عنه ففعل».

ـ «حلف بعضهم على زوجته أن لا تتصدق فتصدقت في بعض الأيام على رجل فرآها زوجها فقال: كيف خالفت أمري، فقالت: فعلت شيئاً لله تعالى فأوقد ناراً وقال: لها ادخلي فيها لأجل الله فلبست حليها وحللها فسألها عن ذلك فقالت إن المحب إذا زار حبيبه تزين له ثم ألقت نفسها في التنور فاطبقه عليها ثلاثة أيام ثم كشف عنها فرآها تتبسم فتعجب من ذلك فهتف به هاتف إن النار لا تحرق أحبابنا فتاب توبة حسنة».

العدل:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

ـ «إن المقسطين عند الله: علىٰ منابر من نور، الذين يعدِلون في حكمهم وأهليهم وما دلّوا».

ـ «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله».

ـ «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

ـ «من ظلم قيدَ شبر من الأرض، طوّقه من سبع أرضين».

ـ «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة، مَن أشركه الله في سلطانه، فجار في حكمه».

ـ «شاهد الزور لا تزول قدماه، حتىٰ يوجب الله له النار».

ـ «طوبى للسابقين إلى ظل الله، الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئِلوه بذلوه، والذين يحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم».

ـ «العدل حسن، ولكن في الأمراء أحسن، السخاء حسن، ولكن في الأغنياء أحسن، الورع حسن ولكن في العلماء أحسن، الصبر حسن، ولكن في الفقراء أحسن، التوبة حسنة، ولكن في الشباب أحسن، الحياء حسن، ولكن في النساء أحسن».

ـ «أحبب الحق، ولكن اصفح عن الخطأ».

ـ «إن الحق قوة، والقوة كامنة في الشعب».

ـ «دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلىٰ قيام الساعة».

ـ «من عرف قيمة الحق عزَّ عليه أن يراه مهضوماً».

ـ «والله ما ذُلَّ ذو حق، وإن أطبقَ العالم عليه، ولا عُزَّ ذو باطل،

ولو طلع القمر بين جنبيه».

ـ «صاحب الحق سلطان».

ـ «يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم».

ـ «علىٰ الباغي تدور الدوائر».

ـ «إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس، فاذكر قدرة الله عليك».

ـ «كلنا جند ضد الظلم».

ـ «ظلم بالسوقة، عدل في الرعية».

ـ «ليس لأحد أن يظلم، فسوف يُحاسَب كل إنسان على عمله».

ـ «العدل أساس الملك».

ـ «متىٰ كان الناس أصدقاء فلا حاجة إلىٰ العدل، ولكن متىٰ كانوا عادلين كانوا مفتقرين إلى الصداقة».

ـ «لا يكون القاضي عادلاً إلا إذا تساوىٰ الرئيس والمرؤوس».

ـ «تمسّك بالعدل ما حييت، وإياك والإساءة إلىٰ الأيامىٰ، والتعرّض لمال أحد، فيما يرثه عن أبيه، والعقوبة في غير جريرة».

ـ «يد الرجل النبيل ميزان».

ـ «اجعل نفسك ميزاناً، فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها».

أما والله إن الظلم لؤم وإن الظلم مرتعه وخيم

وهذه بعض القصص يتجلى فيها عدل الله تعالى:

ـ «ذكر ابن خلكان في تاريخه أن رجلاً كان يأكل دجاجة مع زوجته فجاءه سائل فرده خائباً بعد مدة ذهب ماله وطلق زوجته فتزوجت غيره فبينما هما ذات ليلة يأكلان دجاجة إذا جاءهما سائل فقال لها ادفعي إليه

الدجاجة فدفعتها إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثاني فقال لها والله وأنا السائل الأول الذي ردني خائباً.

«قيل أن هارون الرشيد أراد أن يعاقب رجلاً من أهل التوكل فلم يقدر عليه فأمر بسجنه فقيل أنه خرج من السجن وهو في بستان فلان فأحضره وقال من أخرجك من السجن قال: الذي أدخلني فيه، قال: من أدخلك فيه، قال: الذي أخرجني منه، فأركبه على فرس خاص وأمر منادياً ينادي بين يديه هذا جزاء عبد أراد إهانته هارون الرشيد فأعزه الله تعالى وأنشد:

إذا أكرم الرحمن عبداً بعزه فلن يقدر المخلوق يوماً يهينه
ومن كان مولاه العزيز أهانه فلا أحد بالعز يوماً يعنيه

ـ «قال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب أرني عدلك قال: اذهب إلى مكان كذا ففعل فوجد عيناً وشجرة فجلس تحتها مختفياً فجاء فارس فشرب من العين ونسي كيساً فيه ألف دينار فجاء صبي فأخذه ثم جاء رجل أعمى فتوضأ من العين فتذكر الفارس كيسه فرجع وسأل الأعمى عنه، فقال: ما وجدته فضربه فقتله، فتعجب موسى عليه الصلاة والسلام من ذلك فأوحى الله إليه أن الصبي قد أخذ حقه، لأن الفارس أخذ من والد الصبي ألف دينار وأما الأعمى فإنه قتل أبا الفارس فأوصلت إلى كل ذي حق حقه».

فتاوى وأحكام

مسائلُ البينونة والتفريقِ بسبب اختلاف الدِّين واختلافِ الدار

س: أسلمت المرأة، وزوجُها كافر، هل تَبِينُ منه بإسلامها؟

ج: لا تبِين بنفس الإسلام، بل يعرِضُ القاضي الإسلام على زوجها، فإن أسلم فهي امرأته، وإن أبى فَرَّق القاضي بينهما، وكان ذلك التفريق طلاقاً بائناً عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى، وقال أبو يوسف رحمه الله تعالى: هو فُرقة بغير طلاق.

س: أسلم زوجُ الكتابية، هل يُفرِّق بينهما؟

ج: لا حاجة إلى التفريق، لأنه يصح نكاح المسلم الكتابيةَ ابتداءً، فهكذا يصح بقاءً.

س: ارتدَّ أحدُ الزوجين عن الإسلام (والعياذ بالله)، متى تقع البينونة بينهما؟

ج: تقع البينونة بينهما في الحال، وتكون الفُرقة بغير طلاق.

الولَدُ يتبَعُ خَيْرَ الأبوَيْنِ

س: وَلَدٌ وُلِدَ بين أبوين، أبوه مسلم، فمن يتبعُه الولدُ في الدِّين؟

ج: يتبع أباه، وإذا أسلم أحد الزوجين، ولهما ولد صغير يتبعه الولد، ويصير مسلماً بإسلام من أسلم منهما.

س: ولَد بين أبوين، وأحدهما كتابي، والآخر مجوسي، فمن يتبع الولد؟

ج: يتبع الكتابيَّ دون المجوسي، والأصلُ في ذلك أن الولد يتبع خيرَ الأبوين ديناً.

كتابُ الرَّضاع

س: بيِّنوا أحكام حُرمة الرضاع بالتفصيل.

ج: إفهم واحفظ المسائل التالية:

١ـ إذا ارتضع صَّبِيّ وصَبِيّة على ثَدِي امرأة حَرُم النكاح بينهما.

٢ـ لا يجوز أن تتزوج المُرضَعة أحداً من ولد المرأة التي أرضعتها.

٣ـ إذا أرضعَتْ المرأة صَبِيَّة حَرُمَتْ هذه الصَّبيَّةُ على زوجها وعلى آبائه وأبنائه، ويَصير الزوج الذي نزل لها منه اللَّبَن أباً للمرضَعة، وهذه المسألة يسمِّيها الفقهاء بمسألة لَبَنِ الفَحْل.

٤ـ لا يتزوج الصبي المُرضَعُ أُختَ زوج المرضِعة، لأنها عمته من الرضاع.

٥ـ لا يَحِلُّ للرجل أن يتزوج امرأة ابنه من الرَّضاع، كما لا يحل له أن يتزوج بامرأة ابنه من النَّسب.

٦ـ يجوز أن يتزوج الرجل بأخت أخيه من الرَّضاع، كما يجوز في بعض الصُّوَر أن يتزوج بأختِ أخيه من النَّسب، وذلك مثلُ الأخ من الأب إذا كان له أخت من أمِّه، جاز لأخيه من أبيه أن يتزوجها.

س: قد ذكرتم في بيان المحرَّمات، أن كل ما يحرُم من النَّسب يَحرُم من الرضاع إلا بعض ما يُستثنى منه، فنُرِيد أن نعلم هذا المُستثنَى؟

ج: يستثنى منه الصور التالية:

١ـ يجوز النكاح بأمِّ أخته من الرضاع، ولا يجوز أن يتزوج بأم أخيه من النسب.

٢ـ يجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع، ولا يجوز ذلك من النَّسب.

٣ـ يجوز أن ينكِح أمَّ عمِّه وعمته من الرضاع، ولا يجوز ذلك من النسب.

س: وكيف يثبُت الرضاع؟

ج: يثبت بشهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، ولا تُقبل في الرضاع شهادة النساء منفردة.

س: وما حكم التحريم إذا اختلط لبن امرأة بالدواء وشرِبَه رَضيعٌ؟

ج: يتعلق به التحريم إذا كان اللَّبَن غالباً.

س: امرأة ماتت فحُلِبَ لبنها في إناء، ثم أَوْجَرَ به الصبيَّ، ما حكمه؟

ج: يتعلق به التحريم.

كتابُ الطَّلاق

س: إذا تزوج الرجل امرأة، ثم لم يتوافقا ماذا يفعل الرجل؟

ج: قد أمر الله تعالى بحُسن المعاشرة، قال: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾، فإن لم يُمكن ذلك وأراد المفارقة، جعل الله لهما صورة الخلاص، وهو أن يطلِّق الرجل المرأة، ويُخرجَها من نكاحه، والرجل في هذه الصورة مطلِّق، والمرأة طالق، أي ذاتُ طلاق.

س: هل ينقسم الطلاق إلى أقسام؟

ج: الطلاق على ثلاثة أقسام:

١ـ أحسنُ الطلاق.

٢ـ طلاقُ السُّنَّة.

٣ـ طلاق البِدعة.

فالأول: أن يُطلِّقهاتطليقة واحدة، في طُهر لم يجامعها فيه، ثم لا يجامعها حتى تنقضي عِدتها.

والثاني: أن يطلق المدخولَ بها ثلاثَ تطليقات، وفي ثلاثة أطهار لا جِماع فيها، ويُسمِّه الفقهاء بالطلاق الحسن، والسُّنة في الطلاق من وجهين: سُنّة في الوقت، وسنة في العدد. فالسُّنّة في العدد يستوي فيها المدخول بها وغيرُ المدخول بها، والسُّنة في الوقت يثبُت في المدخول بها خاصةً، وهو أن يطلِّقها في طُهر لم يجامعها فيه.

والثالث: أن يطلقها ثلاث تطليقات، مجموعةً في كلمة واحدة، أو يطلِّقها ثلاث تطليقات في طهر واحد، فإذا طلّق امرأته تطليقة واحدة، وهي مدخولٌ بها، وقع الطلاق عليها، لكنها لا تَبِينُ منه حتى تنقضي

عِدتها، فإذا أراد أن يُراجعها، جاز له ذلك في العِدّة، وإذا كانت غيرَ مدخول بها، فإنها تَبين منه بتطليقة واحدة، ولا يَحِلُّ للزوج أن يراجعها في العِدة ولا بعد العدة.

س: فإن طلّق طلاقَ البِدعة، ما حكم هذا الطلاق؟

ج: يقع الطلاق بذلك، ويكون الزوج عاصياً، لأنه خالف السُّنة.

س: هل يقع الطلاق في حالة الحَيض؟

ج: يقع الطلاق في حالة الحيض، لكنه ممنوع، فيلزمه أن يراجعها، ثم إذا شاء طلّقها في طُهر لا جِماع فيه، وهذا إذا كانت مدخولاً بها، فإن طلّق غيرَ المدخول بها في حالة الحيض، جاز ذلك.

س: وما حكم الطلاق في حالة الحَمل؟

ج: يجوز الطلاق في حالة الحَمْل، ولو كان عُقِيبَ الجِماع.

س: هل يقع طلاقُ كلِّ زوج؟

ج: يقع طلاق كل زوج، إذا كان عاقلاً بالغاً، ولا يقع طلاق الصَّبي والمجنون والنائم.

س: وما حكم طلاق الأخرس؟

ج: يقع طلاقه بالإشارة.

بابُ إيقاع الطلاق

س: قد ذكرتُم أنه يجوز المراجعة بعد الطلاق الرجعي، فهل هناك طلاق لا يجوز الرجوع بعده؟

ج: الطلاق على ثلاثة أنحاء:

طلاقٌ رَجْعيٌّ يجوز الرجوع بعده في العِدة، وطلاقٌ بائن لا يجوز

الرجوع بعده إلا بنكاح جديد، وطلاقٌ مُغَلَّظ لا يجوز النكاح بعده بذلك الزوج، حتى تَنكحِ المرأة زوجاً غيرَه، بعد مُضِيِّ العدة، ويجامعَها الزوج الثاني، ثم يموتَ عنها، أو يطلِّقَها وتمضيَ عِدتها.

س: كيف يقع الطلاق الرجعي والبائن؟

ج: الطلاق على ضربين من حيثُ الألفاظُ:

١ـ صريح.

٢ـ كناية.

فالصريح: قول الرجل لامرأته: أنتِ طالق، أو مطلَّقة، أو طلقتُك، ويقع به الطلاق الرجعي، ولا يقع به إلا واحدةٌ، وإن نوى أكثر من ذلك، ولا يفتقر إلى نية الطلاق بهذه الألفاظ، ومن الألفاظ الصريحة في الطلاق قوله: أنتِ الطلاق، وأنت طالقُ الطلاق، وأنت طالق طلاقاً، فإن لم تكن له نِيَّة بهذه الألفاظ، فهي واحدة رَجعية، وإن نوى اثْنَتَينِ لا يقع إلا واحدة، وإن نوى ثلاثاً فثلاث، ولو قال: أنت طالق أنت طالق (مرتين) يقع به تطليقتان رجعيتان، قال الله تعالى جلَّ شأنه:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾. [البقرة]

والضرب الثاني، أعني الكناية (وهي ليست صريحة في الطلاق) لا يقع بها الطلاق إلا بالنيَّة أو بدلالة الحال.

فالحاصل:

أن الطلاق الرجعيَّ يقع باللفظ الصريح، ويلتحق به قوله: اعتدِّي واستبريء رَحِمَك وأنت واحدة، والطلاق البائن ما كان بلفظ الكناية، إذا نوى به الطلاق، أو كانت هناك دَلالة الحال، ويصير الطلاق الرجعي

بائناً إذا انقضت العدة، ولم يراجع فيها.

والطلاق المغلَّظُ: ما كان بثلاث تطليقات، سواء كان في ثلاثة أطهار، أو في ثلاثة أشهر، أو بكلمة واحدة أو ثلاثةٍ في طُهر واحد، أو نوى ثلاث تطليقات بلفظ الكناية ـ إلا ما استثنى منها ـ.

س: لم يذكر الزوج في الطلاق عُضواً من الأعضاء، بل ذكر جزءاً شائعاً مثلاً قال: نِصفك طالق، أو ثُلُثك طالق، هل يقع به الطلاق؟

ج: نعم يقع الطلاق بذلك.

س: ولو نَصَّف التطليقة الواحدة أو ثلَّث، مثلاً قال: أنت طالق نِصفَ تَطليقة، أو ثُلُثَ تطليقة، أو ثُلُثَيْ تطليقة، ما حكم هذا التطليق؟

ج: يقع بذلك تطليقةٌ واحدة كاملةٌ، لأن الطلاق لا يتجزّأ.

باب تَعَلُّقِ الطلاق بالشروط

س: قال رجلٌ لامرأة: إن تزوجتُك، فأنت طالق، ما حكم هذه الإضافة؟

ج: يقع الطلاق عُقيبَ النكاح في هذه الصورة.

س: وإن أضاف الطلاق إلى شرط، مثلاً قال لامرأته: إن دخلتِ الدار، فأنت طالق ما حكمه؟

ج: يقع به الطلاق، إذا وُجِد الشرط أيُّ شرط كان ـ إلا أن يقول: أنت طالق إن شاء الله متصلاً، فإن الطلاق لا يقع بهذا الشرط ـ.

س: قال لأجنبية: إن دخلتِ الدار، فأنت طالق، ثم تزوّجها، فدخلت الدار، هل تطلَّق بذلك؟

ج: لا تطلَّق في هذه الصورة، لأن الطلاق يقع بعد وجود الشرط،

إذا كان الحالف مالكاً لامرأة مِلكَ النكاح، حين ما حلف، أو يُضيفه إلى مِلك.

س: وألفاظ الشرط ما هي، وما حكم استعمالها؟

ج: ألفاظ الشرط: إن، وإذا، وإذا ما، ومتى، ومتى ما، فإذا أضاف الطلاق إلى شرط، بأحد هذه الألفاظ يقع الطلاق عقب وجود الشرط وتنحلُّ اليمين.

س: هل في ألفاظ الشرط ما يتكرر به الطلاق، تكرّر وجود الشرط؟

ج: نعم كلمة (كلما) إذا أضاف بها الطلاق إلى شرط، يتكرر الطلاق إذا تكرر الشرط.

س: مثّلوا لذلك مَثلاً؟

ج: قال رجل لامرأته: كُلَّما دخلتِ الدار، فأنت طالق، فدخلت الدار طُلِّقت، ثم إذا دخلت طُلِّقت، ثم إذا دخلت طُلِّقت، ولا زائد في الشريعة على ثلاثِ طلقات، فلا يقع شيء بعدها.

س: علَّق الطلاق بشرطٍ، ثم اختلف الزوجان في وجوده، فمن يُقبَل قوله؟

ج: يُقبَل فيه قول الزوج، إلا أن تُقيم المرأة البيِّنة على وجود الشرط.

س: قال لها: أنت طالق بمكةَ، مع أنها ليست فيها، ما حكمه؟

ج: يقع عليها الطلاق في الحال، في أيِّ بلد كانت، وكذلك إذا قال لها: أنت طالق في الدار، تطلُق في الحال وإن لم تكن فيها، لأنه لم يعلّق الطلاق بدخول مكة، أو بدخول الدار.

س: قال لها: أنت طالق إذا دخلتِ مكةَ، هل يخالف المسألة الأولى؟

ج: نعم يخالف، لأنه علَّق الطلاق هاهنا بدخولها، فلا يقع الطلاق حتى تدخلها.

س: إن قال لها: أنت طالق غَداً، متى يقع الطلاق؟

ج: يقع بطلوع الفجر الثاني من الغد.

س: قال لها: أنت طالق ثلاثاً إلا واحدة، أو قال: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين، ما حكم هذا الاستثناء؟

ج: يُعمَل بما استثنى، فتقع الاثنتان في الصورة الأولى، وواحدةٌ في الصورة الثانية.

طلاقُ المريض

س: هل تَرِث المرأة زَوْجها، بعد طلاقها في بعض الأحوال؟

ج: إذا طلق امرأته طلاقاً بائناً، في مرض موته، ومات قبل انقضاء عِدتها وَرِثَتْه، وإن مات بعد انقضاء العِدّة فلا ميراث لها، وحكمُ الطلاق المغلَّظ مِثْلُ البائن في ذلك، ويسميه الفقهاء بمسألة الفارِّ، بمعنى أن الزوج عجَّل الطلاق لِأَنْ لا ترثَ منه، فجُوزِي بتوريثها في العِدة، وجُعِلَتْ عِدتها أبعدَ الأجلين، كما سيجيء في باب العدة إن شاء الله تعالى.

باب الخلع

س: هل صورةٌ أخرى غيرُ الطلاق، تخرُج به المرأة من نكاح زوجها؟

ج: إذا تشاقَّ الزوجان، وخافا أن لا يقيما حدود الله، فلا بأس أن

تفتدي المرأة نفسَها بمال تختلع به نفسَها من زوجها، فإذا قالت للزوج: خالعتُكَ بمال كذا، وقَبِله الزوج وقع عليها تطليقة بائنةٌ ولزمها المال، وهذا يسمى خُلعاً.

س: قالت الزوجة: خالعتُكَ بكذا من المال، وقَبِله الزوج، هل يجوز للزوج أن يقبَل ذلك المالَ من غير كراهة؟

ج: فيه تفصيل، إن كان النُّشوز من قِبَله كُرِه له أن يأخذ منها عِوَضاً، وإن كان النُّشوز من قِبَلها كُرِه له أن يأخذ مما آتاها، ومع ذلك جاز في القضاء أخذُ المال في الصورتَيْن، وكان الطلاق بائناً.

س: أيُّ مال تختلع به المرأة زوجها؟

ج: كل ما جاز أن يكون مَهراً في النكاح، جاز أن يكون بدلاً عن الخُلع.

س: طلَّقها على مال، فقبلت ذلك، ولم يذكُر أحدهما لفظ الخُلع، هل يقع الطلاق بذلك؟

ج: نعم يقع الطلاق في هذه الصورة أيضاً، ويلزمها المالُ، ويكون الطلاق بائناً.

س: قالت: خالِعْني على ما في يدِي من مال، فخالعها ولم يكن في يدها شيء، هل يقع الطلاق، ويلزمها المال في هذه الصورة؟

ج: يقع الطلاق البائن، ويلزمها رَدُّ مهرِها الذي قَبَضَتْ.

س: اختلعا ولكل واحد منهما أو لأحدهما حقوقٌ على الآخر، ما حكم أدائها؟

ج: قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الخُلع يُسقِط كلَّ حق مُتعلِّق بالنكاح، ولا يبقى على واحد منهما شيء من الحقوق، أما ما كان من حقٍّ لا يتعلق بالنكاح، فهو واجبُ الأداءِ، كما كان، وذلك مِثْلُ إن

استدان أحدهما من الآخر ثم خالعا، فلا يسقُط الدين بالخُلع، وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى: الخُلع لا يُسقط من الحقوق إلا ما سَمَّيا.

وهناك صورة أخرى لإسقاط الحقوق، وهي المبارأة، وهي عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى تُسقط كلَّ حق يتعلق بالنكاح، وقال محمد رحمه الله تعالى: المبارأة والخُلع سواءٌ، أو أنهما لا يُسقطان إلا ما سميَّا.

بابُ الرَّجْعة

س: قد ذكرتُم فيما سبق، أن الرجُل إذا طلّق امرأته تطليقة رَجْعية، أو تطليقتين رجعيتين، فله أن يراجعها في العِدة، فهل يُشترَط لذلك رِضاء المرأة؟

ج: لا يشترط ذلك، وله أن يراجعها رَضِيَتْ المرأة بذلك، أو لم ترضَ.

س: كيف يُراجعها؟

ج: يقول لها: راجعتكِ أو يقول: راجعتُ امرأتي، وهذا رجوع بالقول، ولو وَطِئها، أو قبَّلها، أو لَمَسها بالشهوة، أو نظر إلى فَرْجها الداخل . بشهوة يكون مراجعاً، وهذا رجوع بالفعل.

س: هل يجب عليه أن يُشهد على الرجعة؟

ج: لا يجب الإشهاد، ولكنه يُستحب له أن يُشهد على الرجعة شاهدين، وإن لم يُشهد صحَّت الرجعة.

س: طلّقها رجعياً، وانقضت العِدّة، فقال الزوج: إني كنت راجعتُكِ في العِدّة فصدَّقَتْه أو كذّبَته، بماذا يحكم؟

ج: إن صدّقَتْه فهي رجعة، وإن كذّبتْه، فالقول قولها، ولا يمينَ عليها في ذلك عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

س: انقطع دمُ المطلّقة من الحَيضة الثالثةِ، هل تنقطع بذلك الرجعة؟

ج: فيه تفصيل، إن انقطع لعَشْرة أيامٍ، انقطعت الرجعة، وانقضت عِدتها، وإن لم تغتسل بعدُ، وإن انقطع لأقلَّ من عشرة أيام لم تنقطع الرجعة، حتى تغتسل أو يمضيَ عليها وقتُ صلاة، أو تتيمم وتصليَ، وهذا عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى، وقال محمد رحمه الله تعالى: إذا تيمَّمتْ انقطعت الرجعة، وإن لم تصلِّ.

فائدة:

يُستحَب لزوج المطلَّقة الرجعية أن لا يدخل عليها، حتى يستأذنها أو يُسمِعُها خَفْق نعلَيْه، كما يُستحب لها أن تتشوفَ وتتزين، ولو وطِئها الزوج لا يكون آثِماً، لأن الطلاق الرجعي لا يُحرِّم الوطء، ويكون بذلك مراجعاً كما ذكرنا من قبلُ.

المسائلُ المتعلقةُ بنكاح المُبانة والمطلَّقة ثلاثاً

س: طلَّق امرأته الحُرة ثلاثَ تطليقات، موافقاً للسنة أو مرتكباً للبِدعة، ما حكم نكاحها ثانياً إذا أراد المطلِّق أن يتزوجها؟

ج: الطلقات الثلاثُ في حقِّ الحُرة، والطلاقان في حق الأمَة يسمَّى طلاقاً مغلَّظا، ولا يجوز للزوج المطلِّق أن يتزوجها ثانياً، حتى تنكح زوجاً غيرَه، نكاحاً صحيحاً بعد مُضِيِّ العِدة، ويدخلَ بها زوجُها الثاني، ثم يُطلقَها أو يموتَ عنها وتمضِيَ عِدتها بعد ذلك.

س: تزوج رجل المطلَّقة بالثلاث، بشرط التحليل، هل يصِح النكاح في هذه الصورة، وتحِلُّ للزوج الأول، بعد وطء الزوج الثاني؟

ج: النكاح بشرط التحليل مكروه كراهةَ تحريم، لكنه يصح إذا وُجِدَتْ أركان النكاح، فإن طلَّقها هذا الزوج بعد وطئها، أو مات عنها بعد وطءٍ تَحِلُّ للأول.

س: لو طلّق امرأته ثلاثاً، فتزوجت بزوج، ثم عادت إلى الأول بالشرائط المعتَبرة في الشريعة، بكم تعود من التطليقات؟

ج: تعود بثلاثِ تطليقات، لأن الزوج الثاني هَدَم التطليقات الثلاثَ الأُوَلَ، وهذا بالإجماع بين أئمتنا الثلاثة.

س: طلّق امرأته ثلاثاً، فقالت: قد انقضتْ عِدّتي، وتزوجتُ بزوج آخرَ، ودخل بي، ثم طلقني وانقضت عدتي، هل يجوز لزوجها الأول أن يعتد بقولها ويتزوجَها؟

ج: جاز للزوج الأول أن يُصدقها ويتزوجها ثانياً، إذا كان غالب ظنِّه أنها صادقة، بشرط أن المدة تحتمل ذلك.

كتابُ العِدّة

س: العِدة ما هي؟ ولِمَ سُمِّيت بهذا الاسم؟

ج: إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً رجعياً، أو بائناً أو مُغلّظاً، أو وقعت الفُرقة بين الزوجين بغير طلاق، أو مات عنها زوجُها، فإنه لا يجوز لها أن تَنكِح زوجاً آخرَ، حتى تمضي عليها مُدَّةٌ معلومة، وتلك المدَّة تختلف حسَبَ حال المرأة من الأقراء والأشهر، وهذه المُدة تُسمَّى بالعدَّة، لِمَا أن المرأة المطلّقة تَعُدُّ الأشهر أو الأقراء.

س: وما التفصيل في العِدَّة التي أشرتُم إليها إجمالاً؟

ج: احفَظْ التفصيل كما يلي:

١ـ إذا كانت المطلقة حرة، وهي ممن تَحيض فعِدتُها ثلاثُ حِيَضٍ كَواملَ.

٢ـ وإن كانت لا تَحيض، من صِغَر أو كِبرَ، فعدتها ثلاثة أشهر.

٣ـ وإذا مات الرجل عن امرأته الحرة، وهي غيرُ حاملاً، فعدتها أربعة أشهر وعشرةُ أيام.

٤ـ وإن كانت المطلّقة، أو المتوفى عنها زوجُها حاملاً، فعدتها وضع الحَمْل.

س: إذا طلق الزوج امرأته في الحيض، هل تحتسَب تلك الحيضةُ من الحِيَض الثلاثِ؟

ج: لا تُحتسَب منها، بل تعتَدُّ بثلاث حِيَض سواها كواملَ، بعد هذه الحيضة التي طلّق فيها.

س: امرأة يَئِسَتْ من الحيض، فطلقها زوجها، وكانت تعتدُّ بالشهور، ثم رأت دم الحيض، فالآن كيف تفعل؟

ج: تستأنِف العدة بالحيض، وانتقض ما مضى من عدتها.

س: رجل نكَح امرأة نكاحاً فاسداً ودخل بها، ثم فرَّق القاضي بينهما، أو مات عنها الذي نكَحها، كيف تعتدُّ؟

ج: تعتد بالحِيَض الثلاث إن كانت من ذوات الحَيْض، وإلا فبالأشهر أو تتربّص وضعَ الحَمْل إن كانت حاملاً، فإذا وضعت انقضت عدتها.

س: امرأة وُطِئَتْ بشبهة، فمات الواطىء أو فرَّق بينهما القاضي، هل عليها عِدّة؟

ج: نعم عليها عِدة، وهي ثلاث حِيَض.

س: امرأة طلَّقها زوجها أو مات عنها، ولم تعلم بالطلاق أو الوفاةِ حتى مضت مدة العدة، ما حكم عدتها؟

ج: انقضت عدتها بمُضِيِّ المُدة، ولا عدة عليها ثانياً بعد العلم بالطلاق أو الوفاة.

س: هل يجب على المطلّقة والمتوفَّى عنها زوجُها شيءٌ آخرُ سوى إمضاء مدة العدة؟

ج: إذا كانت المبتوتة والمتوفَّى عنها زوجُها بالغةً مسلمة، فعليها الإحداد في أيام عدتها.

س: الإحداد ما هو؟

ج: هو أن تترك الطِّيب والزينةَ، ولا تختضب بالحِنَّاء، ولا تلبَسَ ثوباً مصبوغاً بوَرْس أو بزعفُران ولا تدَّهِن ولا تكتحل إلا بعُذْرٍ.

س: قيدتم المسألة بما إذا كانت المبتوتة والمتوفّى عنها زوجها بالغة مُسلمةً، فهل يختلف الحكم في ذلك، إذا كانت كافرةً أو صغيرةً؟

ج: قيّدْنا بذلك، لأنه لا حداد على كافرة ولا صغيرة.

مسائلُ متفرقةٌ

س: امرأة تعتدُّ عدة الوفاة، فأراد بعضُ المسلمين أن يخطُبها، هل يجوز له ذلك؟

ج: لا يجوز ذلك بالتصريح، ولا بأس بالتعريض.

ثبوت النَّسبِ

س: وكيف يثبُت نَسَبُ الأولاد من آبائهم؟

ج: تزوج رجل امرأة، وجاءت بالولد لستة أشهر قَمَرِيّةٍ فصاعداً، يثبتُ نَسَبُه منه إن اعترف به الزوج أو سكت، وإن جاءت بولد لأقلَّ من ستة أشهرٍ منذ يومِ تَزوّجها لم يثبُت نسبُه منه.

فائدة: أكثرُ مدة الحَمْل سنتان، وأقلُّه ستة أشهر.

س: قد ذكرتُم الحكم الشرعيَّ في ثبوت النَّسب من الزوج الذي لم يُطلِّق، فما التفصيل في ثبت النّسب من الزوج الذي طلّقها؟

ج: فيه تفصيل واحفظه كما يلي:

١ـ يثبتُ نَسبُ وَلدِ المطلّقة الرجعية، إذا جاءت به لسنتَيْن أو أكثر، ما لم تُقِرُّ بانقضاء عِدتها، ويقال في الصورة الثانية: إنه وطِئها في العدة وراجعها.

٢ـ وإن جاءت المطلقة الرجعية لأقل من سنتين، ثبت نسبُه منه وبانت من زوجها.

٣ـ والمطلّقة المبتوتة يثبُت نَسبُ ولدها من الزوج الذي طلَّقها، إذا

جاءت به لأقلَّ من سنتين، وإن جاءت به لتمام سنتين من يوم الفُرقة، لم يثبُت نَسبه إلا أن يدَّعيَه الزوج.

٤ـ يثبُت نَسب ولدِ المتوفَّى عنها زوجُها إلى تمام سنتين، من وقت الوفاة.

٥ـ مُعتدّة اعترفت بانقضاء عِدتها، ثم جاءت بولد لأقلَّ من ستة أشهر يَثُبت نسبه، وإن جاءت به لستةِ أشهر لم يثبُت النَّسب.

كتابُ اللِّعان

س: إذا نَفَى الزوج نَسَبَ ولدٍ ولَدتْه زوجته، فإنه يلزمُه اللِّعان، فنريد أن نعلم أن اللعان ما هو؟ وكيف هو؟

ج: إذا قذَف الرجل امرأته بالزِّنا، وهما من أهل الشهادة، والمرأة ممَّنْ يُحدُّ قاذِفُها أو نَفَى نَسبَ ولدِها وطالبَتْه المرأةُ بمُوجِب القَذْفِ، فعليه اللعان، فإن امتنع منه حبَسه الحاكم حتى يُلاعنَ أو يُكذِّبَ نفسه فيُحدُّ حدَّ القذف، وصفة اللِّعان أن يبتدىء الزوج عند القاضي، فيشهدَ أربع مرَّات يقول في كل مرة: أشهَد بالله إني لَمن الصادقين فيما رميتُ هذه من الزنا، ثم يقول في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فيما رماها به من الزنا، ويُشير إليها في جميع ذلك، ثم تَشهد المرأة أربع شهادات تقول في كل مرة: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين، فيما رماني به من الزنا، وتقول في كل الخامسة: أن غْضَبَ الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا.

س: لما طالبت المرأة بموجب القذف، وأمر القاضي باللِّعان، وتهيّأ الزوج لذلك وأبَت المرأة، بماذا يأمر القاضي؟

ج: يجب عليها اللِّعان إذا تهيأ زوجها، فإن امتنعت حبَسها الحاكم

حتى تُلاعن أو تُصدِّقَ الزوج.

س: قذف امرأةً ليست بزوجةٍ له، فحُدَّ بذلك، ما حكم النكاح بينهما؟

ج: يجوز النكاح بينهما.

س: أمرَ القاضي باللِّعان فتلاعنا، فهل يبقى بينهما العلاقة الزوجية؟ وهل يثبُت نَسبُ الولد من هذا الزوج الذي لاعن؟

ج: إذا تلاعنا فرَّق القاضي بينهما، وكانت هذه الفُرقة تطليقةً بائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى، وقال أبو يوسف رحمه الله تعالى: تكون هذه الفُرقة تحريماً مؤبَّداً، وإن كان اللِّعان لأجل نفي الولد، نَفَى القاضي نَسَبَهَ من الرجل الملاعن وألحقه بأمِّه.

س: قذَف امرأته، وهي صغيرة أو مجنونة، ما حكم اللعان بينهما؟

ج: لا لِعان بينهما ولا حدَّ.

بابُ الإيلاء

س: الإيلاء ما هو لغةً واصطلاحاً؟

ج: هو إفعال من الألَى بمعنى القَسَم، وهذا من حيث اللغةُ، وأما في الاصطلاح، فهو حَلْفُ الرجلِ على أنه لا يقرَبُ امرأتَه.

س: وما حكم الإيلاء في الشريعة الغراء؟

ج: احفَظ التفصيل الآتيَ لتعرِفَ أحكام الإيلاء في صُوَره المختلفةِ:

إذا قال الرجل لامرأته: والله لا أَقرَبُكِ أربعةَ أشهر، فهو مُولٍ، فإن وطِئها في الأربعة الأشهرِ حَنِث في يمينه، ولزمته كفّارة الحِنْثِ، وسقط الإيلاء ـ ومعنى سقوطِه أنه إن قَرِب بعد ذلك لا يلزمه شيء ـ وهذا

القِربان يسمى فَيئاً، أي رُجوعاً عن اليمين، وإن لم يقرَبْها حتى مضت أربعةُ أشهر، بانت بتطليقة واحدة وسقطت اليمين.

وإن قال: والله لا أقرَبُكِ أو قال: والله لا أقرَبُكِ أبداً، فقَرِبها في مُدة أربعة أشهر حَنِثَ في يمينه، ويلزمه الكفارة، وإِن لم يقرَبْها حتى مضت أربعةُ أشهر بانت بتطليقة واحدة لكنَّ اليمين باقية في هذه الصورة، فإن عاد فتزوجها عاد الإيلاء، فإن وطِئها في الأربعة الأشهرِ فعليه كفارةُ اليمين، وإلا وقَعت تطليقة أخرى، فإن تزوجها ثالثاً عاد الإيلاء، فإن وطِئها في الأربعة الأشهر فعليه كفارة اليمين، وإلا وقعت تطليقةٌ أخرى بعد مضي الأربعة الأشهر، فإن تزوجها بعد زوج آخرَ، لم يقع بذلك الإيلاءِ طلاقٌ، واليمين باقية، فإن وطِئها كفَّر عن يمينه.

س: إن حَلَف على أقلَّ من أربعة أشهر ما حكمه؟

ج: لا إيلاء إذا حلف على أقلَّ من أربعة أشهر، ومعناه أنه إذا قَرِبها في هذه المُدة التي حلَف عليها يَحنَثُ في يمينه ويُكفِّر، ولو لم يقرَبها أربعةَ أشهر فصاعداً لا تَبِين امرأته.

بابُ الظهار

س: الظِّهار ما هو لغةً وشرعاً؟

ج: هذه الكلمة مأخوذة من لفظ «الظَّهْر»، فإذا قال الزوج لامرأته: أنتِ عليَّ كظَهر أمِّي، فقد ظاهر منها ظِهاراً شرعياً، يتعلق به بعض الأحكام.

س: بيِّنوا تلك الأحكامَ بحيث يتّضح المَرام.

ج: إذا ظاهر الزوج من امرأته، فقد حرُمت عليه، لا يحِل له وطؤها ولا مسُّها، ولا تقبيلها، حتى يُكَفِّر عن ظِهاره، فإن وطِئها، قبل

أن يكفِّر استغفر الله تعالى، ولا شيء عليه غيرَ الكفارة الواحدة، ولا يُعاود ثانياً حتى يكفِّر.

س: هل يَختص الظِّهار بما إذا شبَّه بأعضاء أمِّه، أو هو يعُمُّ التشبيهَ بجميع المحارم؟

ج: الظِّهار ليس بمختص بالتشبيه بالأم فقط، بل إذا شبَّه امرأته بما لا يحل له النظرُ إليه على سبيل التأبيد من محارمه مثلُ أخته، أو عَمته، أو أُمِّه من الرَّضاع ـ مثلاً قال: أنتِ عليَّ كظهر أختي، أو كفخذها، أو فرجها ـ يكون مظاهراً.

س: قال لامرأته: أنتِ عليَّ مثل أمي أو كأُمِّي ماذا يُراد به؟

ج: يرجع في ذلك إلى نِيَّته، فإن قال: أردتُّ به الطلاق فهو طلاق بائن، وإن لم يكن له نِيّة، فليس بشيء.

س: كفارة الظهار ما هي؟

ج: بيَّنها الله تعالى في ابتداء سورة المجادلة، وهو أن يعتِق رقبةً، فإن لم يجد يَصُمْ شهرين متتابعين، فإن لم يستطع الصيام يُطعِمْ ستين مسكيناً، وكلُّ ذلك قبل المَسيس.

كتابُ النَّفقات

س: ما التفصيل في الإنفاق، من حيث الوجوبُ؟

ج: النفقة واجبة للزوجات، والأولاد، والمطلَّقات، وللوالدَين، ولذوي الأرحام.

نفقة الأزواج

١ـ النفقة واجبة للزوجة على زوجها، مسلمةً كانت أو كتابية إذا سلَّمت نفسها في منزِله، ويلزَمُه كِسوتها وسكناها أيضاً، ويُعتبر ذلك بحالهما جميعاً موسِراً كان الزوج أو معسراً.

٢ـ فإن نَشَزَتْ ولم تسلِّم نفسها في منزله، فلا نفقة لها حتى تعود.

٣ـ إن امتنعت من تَسليم نفسِها، حتى يعطيها مهرها، فلها النفقة.

٤ـ إن كانت الزوجة صغيرة لا يُستمتَع بها، فلا نفقة لها، وإن سلَّمت إليه نفسها.

٥ـ سلَّمت إليه نفسها، لكنَّه صغير لا يقدِر على الوطء، وهي كبيرة، فلها النفقة من ماله.

٦ـ إذ حُبِست المرأة في دَيْن، أو غَصَبها رجل كُرْهاً وذهب بها، فلا نفقة لها.

٧ـ سافرت للحج مع غير الزوج، فلا نفقة لها.

٨ـ مَرِضَتْ في منزِل الزوج فلها النفقة.

٩ـ تزوج الرجل أَمَةً فبوَّأَها معه مولاها منزِلاً فعليه النفقة.

١٠ـ تزوج العبد حُرة بإذن مولاه، فنفقتُها دينٌ عليه يُباع فيها، إلا إذا أنفق عليها مولاه من ماله.

س: امرأة كان لها خادِم في بيت أبيها قبل زواجها، هل يجب على زوجها نفقة خادمها؟

ج: نعم يجب إذا كان موسِراً، ولا تجب النفقة لأكثَر من خادم واحد.

س: رجل أعسَر من نفقة امرأته، هل يفرق بينهما؟

ج: لا يفرَّق بينهما، ويقال لها: استدِيني عليه، فإذا أيسر يُؤديه.

س: قضى القاضي لها بنفقة الإعسار، ثم أيسر فخاصمَتْه هل يُتمِّم لها نفقة الإيسار؟

ج: نعم يُتمِّم لها ذلك.

س: مضت مدة لم ينفق الزوج فيها على زوجته، وطالبته بما أنفقَتْ على نفسها، هل يجب على الزوج أداءُ تلك النفقة؟

ج: لا شيءَ لها في هذه الصورة، إلا أن يكون القاضي فرَض لها النفقة، أو صالحتْ الزوجَ على مِقدار مَا فيُقضى لها بنفقةِ مَا مضى.

س: المعتدَّة مَنْ يُنْفِق عليها في عِدَّتها؟

ج: إذا طلّق الرجل امرأته، فلها النفقة والسكنى على زوجها الذي طلّقها، رجعياً كان الطلاقُ أو بائناً، وأما المتوفَّى عنها زوجها، فلا تجب لها النفقة في مال زوجها، وتنفق مما نالت من ميراثها.

نفقة الأولاد

س: إذا كان ولدٌ بين زوجَيْن، ذكراً كان أو أنثى، على من تجب نفقته؟

ج: نفقة الأولاد الصِّغار على الأب، لا يشاركه فيها أحد، كما لا يشارك الرجلَ في نفقة زوجته أحد.

س: لِم قيّدتُم الأولاد بالصغار؟

ج: لأن الكِبار مِن الأولاد الذكورِ لا يجب نفقتهم على أبيهم، لكونهم قادرين على الكَسب بأنفسهم، إلا أن يكون الابن الكبير زَمِناً،

فإن نفقته يجب على أبوَيه أثلاثاً، على الأب الثُّلثان وعلى الأم الثُّلث، وتجب نفقة الابنةِ البالغة التي لا زوج لها على أبويها أثلاثاً أيضاً، هذا إذا كان الابن الكبيرُ الزَّمِنُ والابنةُ الكبيرة مُسلمَيْن.

نفقةُ الوالدين

س: على من تجب نفقة الوالدين؟

ج: إذا كان لأحد مالٌ يملِكه، فهو يُنفِق منه على نفسه، شابّاً كان أو شيخاً، رجلاً كان أو امرأة، ويدخل في هذا العموم الوالدان وغيرُهما إلا الزوجة، فإن نفقتها تجب على زوجها، وإن كانت غنيّة، فإن كان أحد الوالدين فقيراً أو كلاهما فقيرين يجب نفقتهما على الأولاد، ولا يشارك الولَدَ في نفقة أبويه أحد، وكما تجب نفقة الوالدين، تجب نفقة الأجداد والجدات أيضاً إذا كانوا فقراءَ.

س: رجلٌ غائب وله مال في يد أبويه، فأنفقا منه على أنفسهما، هل يضمنان ذلك؟

ج: لا يضمنان.

س: رجل غائب يحتاج إليه أبواه لنفقتهما، هل يقضي القاضي أن يُنفِق عليهما من ماله؟

ج: نعم يقضي القاضي بذلك.

س: هل تجب النفقة لأحد مع اختلاف الدِّين؟

ج: لا تجب النفقة على أحد مع اختلاف الدِّين، إلا للزوجة والأبوين والأجداد والجدات والولد وولد الولد، ونفقةُ غيرِ هؤلاء من الأقارب، لا يجب مع اختلافِ الدِّين، كما لا تجب على الفقير لغيرهم.

س: هل تجب النفقة لغير الوالدين والأولاد من الأقارب؟

ج: تجب النفقة علىٰ الأقارب بقَدْر إرثهم لكل ذي رَحِم مَحرَم منه، إذا كان صغيراً فقيراً، أو كانت امرأة بالغة فقيرةً، أو كان ذكراً زمِناً أو أعمى فقيراً.

إرضاعُ الأولاد وحضانتُهم

س: رَضيع بين أبوين، من يُرضعه، ومن يسترضعه؟

ج: لو رَضِيت أمُّه بإرضاعه، فهذا أحسنُ للولد وأطيب، لكن لا يجب عليها ذلك، فإن أبَت يستأجر له الأب من تُرضِعه عند أُمِّه.

س: ألا يجوز لأمّه أن تُرضعه بالأُجرة، كما تُرضِعه امرأة أخرى؟

ج: إن كانت المرضعة زوجةَ أبيه أو مُعتدَّة التي تأخذ نفقتها، لا يجوز لهما أخذ الأجرة على إرضاع ولدهما، لأن نفقتهما واجبة على أبيه من ناحية أخرى، فإن أرضعت المطلَّقة على الأجرة ولدَها بعد انقضاء عدتها جاز لها ذلك.

س: جاء الأب بمرضعة على الأجرة، فرضيت الأم، التي انقضت عدتها بمثل أجرة الأجنبية، من تكون أحقَّ بالإرضاع؟

ج: كانت الأم أحقَّ بإرضاع ولدها.

س: وقعت الفُرقة بين الزوجين، فمن أحق بالولد؟

ج: الأم أحق بالولد، فإن لم تكن الأم فأم الأم أولى من أم الأب، فإذا لم يكن له أم الأم فأم الأب أولى من الأخوات، فإن لم تكن أم الأب فالأخوات أولى من العمّات والخالات، وتُقدَّم الأخت من الأب والأم، ثم الأختُ من الأم ثم الأخت من الأب، ثم الخالات أولى من

العمات، ثم العمات، وتنزل العمات والخالات كما نزلت الأخوات في المراتب الثلاث.

س: هل يسقُط حق الحضانة بوجه من الوجوه؟

ج: كل من تزوجت من هؤلاء، سقَط حقها في الحضانة، إلا الجدة إذا كان زوجها الجدُّ، وكذا الأم لا يسقط حقُّها، إذا تزوجت بمن هو مَحرَم من الولد كما إذا تزوجت عمَّه.

س: الأم لا تأخذ الولد في حضانتها، وليس غيرُها من يَحضُنُ الولدَ من النِّسوة، كيف يحكم في ذلك؟

ج: تُجبَر الأم على حَضانته.

س: إلى كم مُدةٍ تستحق النساء الحضانة؟

ج: الأم والجدّة أحق بالغُلام حتى يأكلَ وحدَه، ويشربَ وحده، ويستنجيَ وحده، وتستحِقان حضانة الجارية حتى تحيض، ومن سوى الأمِّ والجدة من النساء تستحق حضانة الجارية إلى أن تبلُغَ حدّاً تشتهَى.

الإرث

س: من هم الذكور الذين أُجمِع على توريثهم؟

ج: الذين أُجمِعَ على توريثهم من الذُّكور عَشَرةٌ:

١ـ الابن.

٢ـ وابن الابن وإن سفَل.

٣ـ والأب.

٤ـ وأب الأب وإن علا.

٥ـ والأخ.

٦ـ وابن الأخ.

٧ـ والعم.

٨ـ وابن العم.

٩ـ والزوج.

١٠ـ ومولى النِّعمة، وهو من له وَلاءُ العَتاقة.

س: والإناث اللاتي أُجمِع على توريثهن، مَنْ هُنَّ، وكم عددهن؟

ج: هن سَبْع:

١ـ البنت.

٢ـ وبنت الابن.

٣ـ والأمُّ.

٤ـ والجدَّة أي أُم الأب وأُم الأم.

٥ـ والأخت.

٦ـ والزوجة.

٧ـ ومولاة النِّعمة أي المعتِقة.

س: وموانع الإِرث ما هي؟

ج: هي أربعة:

١ـ الرق.

٢ـ والقتل.

٣ـ واختلاف الدينَين.

٤ـ واختلاف الدارين، فلا يَرِث المرتدُّ، ولا المملوك من أحدٍ شيئاً، ولا القاتلُ من مقتوله، ولا يَرِث المسلم الكافرَ، ولا الكافر

المسلمَ، ولا يرث الحربيُّ الذميَّ وبالعكس، ولا يرث الحربيان فيما بينهما إذا كانا من دارين مختلفتين.

س: الفرائض أي السهام المُقدَّرة المبيَّنة في كتاب الله تعالى، ما هي وكم هي؟

ج: هي سِتّة:

١ـ النُصف.

٢ـ الرُّبع.

٣ـ والثُّمن.

٤ـ والثُّلثان.

٥ـ والثُّلث.

٦ـ والسُّدس.

س: فمن يستحِق النصف؟

ج: يستحقه على حَسَبِ الأحوال خمسةٌ:

١ـ البنت.

٢ـ وبنت الابن إذا لم تكن بنتُ الصُّلب.

٣ـ والأخت لأب وأم.

٤ـ والأخت لأبٍ إذا لم تكن أخت لأب وأم، والزوج إذا لم يكن للميتة ولدٌ، ولا ولدُ ابن، وإن سفَل.

س: ومن يستحق الربع من الورثة؟

ج: يستحقه الزوج إذا كان للميتة ولدٌ أو ولد ابن منه، أو من غيره وإن سفل، كما تستحقه المرأة إذا لم يكن لزوجها الميِّت ولدٌ، ولا ولد ابن منها أو من غيرها، وإذا تعدَّدتْ الزوجات لا يزاد

لهن على الربع.

س: ومن يستحق الثمن؟

ج: تستحقه الزوجة إذا كان للميت ولد أو ولدُ الابن، ولا يزاد على الثمن، وإن تعددت الزوجات.

س: ومن يستحق الثلثين؟

ج: تستحق الثلثينَ البنتان فصاعداً إذا لم يكن معهما ابنٌ للميت، كما تستحقه بنتا الابن فصاعداً عند عدم أولاد الصُّلب وعدم ابن الابن، وكذا الأختان فصاعداً عند عدم أولاد الصُّلب وعدم ابن الابن، وكذا الأختان فصاعداً إذا كانتا لأب وأم أو لأب، ولم يكن للميت ولد، لا ذكرٌ ولا أنثى، كما يستحق الثُّلثين الأبُ فيما إذا ترك الميِّتُ الوالدين وليس له ولدٌ ذَكَرٌ ولا أنثى.

س: ومن يستحق الثلثَ منهم؟

ج: تستحقه الأمُّ إذا لم يكن للميت ولدٌ ولا ولدُ ابن ولا اثنان من الإخوة والأخوات فصاعداً، كما يستحقه الاثنان فصاعداً من ولد الأم ذُكورهم وإناثهم في القِسمة والاستحقاق سَواء ـ إذا لم يكن للميت ولدٌ ولا ابن ولا أبٌ ولا جَدٌّ ـ.

س: ومن يستحق السُّدس؟

ج: يستحقه كل واحد من الأبوين إذا كان للميت ولد أو ولد ابن وإن سَفل، كما تستحقه الأمُّ مع اثنين من الإخوة والأخوات فصاعداً، من أي جِهة كانا، وتستحقه الجدَّات والجدُّ مع الولد وولدِ الابن، وكذا تستحقه بناتُ الابن مع البنت، إن لم يكن معهن أخوهن، وتستحقه الأخوات لأب مع الأخت

لأب وأمٍّ إن لم يكن معهن أخوهن، وكذا يستحقه واحد من أولاد الأم إذا لم يكن للميت ولدٌ أو ولدُ الابن وإن سفَل ـ ذكراً كان أو أنثى ـ ولا أبٌ ولا جدٌ.

س: هل يسقط بعض الأقربين ببعض في الإرث؟

ج: نعم يسقُط بعضهم ببعض وفيه بعض تفصيل نذكره كما يلي:

١ـ تسقط الجدات بالأمِّ.

٢ـ ويسقط الجد والإخوة والأخواتُ بالأب.

٣ـ يسقط ولد الأم بأحد أربعة، بالولد وولد الابن والأب والجد.

٤ـ وإذا استكملتْ البناتُ الثلثين سقطَتْ بنات الابن إلا أن يكون بإزائهن أو أسفلَ منهن ابنُ ابن فيعصِّبُهن.

٥ـ إذا استكملت الأخواتُ لأبٍ وأمٍّ الثلثَيْن سقَطَتْ الأخوات لأبٍ إلا أن يكون معهن أخٌ لهن فيعصِّبُهن.

باب العَصَبات

س: قد ذكرتُم أصحاب الفرائض، وما يستحقونه من السهام المفروضةِ لهم والآنَ نريد أن نحفَظ ترتيبَ العَصَبات فيما بينهم.

ج: أقرب العَصَبات البنون، ثم بنوهم، ثم الأبُ، ثم الجدُّ، ثم بنو الأب، وهم الإِخوة، ثم بنو الجَدِّ وهم الأعمام ثم بنو أب الجد، فإن استوى بنو الأب في درجة، فأولاهم من كان من أب وأم، والابنُ وابنُ الابن والإخوةُ يقاسمون أخواتِهم ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، ومَن سواهم من العصَبَات ينفرد بالميراث ذكورُهم دونَ إناثهم.

وهؤلاء الذين ذكرناهم من العصَبات، هم عصَبة من جهةِ النَّسب، وهناك عَصَبة أُخَرُ، وهو مولَى العَتاقة الذي أعتَق هذا المورِّث الذي مات، ومولى العَتاقة مُؤَخَّر عن العَصَبة من جهة النَّسَب ومُقدَّم على ذوي الأرحام.

استراحة فكرية ومعلومات علمية

مقتطفات من الإعجاز القرآني

الشمس والقمر

لا يوجد في القرآن أي شيء يخالف علم الفلك الحديث فيما يختص بالشمس والقمر. تقول الآية الكريمة بسورة نوح:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥/١٦].

وهنالك آيات كثيرة بهذا المعنى، ومن المعروف أن السراج يعطي نوراً ويعطي حرارة أيضاً، أي هو المصدر، بينما القمر يعطي نوراً فقط، أي ليس كالسراج الذي يعطي الحرارة. وهذا يتطابق تماماً مع العلم الحديث، أي أن القمر يعكس ضوء الشمس فقط.

ومن ناحية أخرى، فإن علم الفلك يثبت أن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض تدور حول الشمس، وذلك منذ اكتشاف كوبرنيك لهذه الظاهرة في القرن السادس عشر. وكان الجميع يعتقدون قبل ذلك أن الشمس تدور حول الأرض، وكذلك اكتشف العالم شابلي عام ١٩١٧ أن دوران الشمس حول مركز مجرتنا التابعين لها يبعد مسافة ثلاثة مُلْحَقٌ بها سبعة عشر صفراً من الكيلو مترات.

وتحتاج الشمس لمائتين وخمسين مليون سنة تقريباً لتدور حول مركز المجرة.

ولننظر إلى ما يقوله القرآن الكريم عن هذا الموضوع وذلك في سورة الأنبياء:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وفي آية أخرى في سورة يس:

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠].

فكيف علم ذلك النبي الأمي محمد ﷺ العائش في الصحراء العربية، بأن الأرض والشمس والقمر يسبحان في الفضاء، وهي معلومات فلكية لم تُعرَف إلا في القرن السادس عشر، ومنها لم يعرف إلا في القرن العشرين!؟.

موضوع التقاء الأنهار العذبة بالمياه المالحة

تقول الآية الكريمة:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٣].

فهذا البرزخ الفاصل بين مياه النهر ومياه البحر الذي يصب فيه، صُوِّر بوضوح من سفن الفضاء وشكله مثلثي تقريباً، قاعدته في البحر وذروته نهاية النهر.

وثبت بالدراسة العلمية في أعماق هذا البرزخ من المياه، أنه فعلاً حجر محجور، كما ذكره القرآن الكريم، إذ لا يستطيع السَمَكُ الوصول إليه سواء منها النهري أو البحري. وهذا البرزخ يمتد إلى أسفل البحر، بمسافة تقرب من ألف متر، وهو دليل علمي آخر على أن القرآن وحي من الله عز وجل لرسوله ﷺ.

موضوع الموج الموجود في عمق البحر

في عام ١٩٠٠ اكتشفت البحارة الإسكندنافية، منطقة في البحر بعمق (٢٠٠) متر مائي، أو أكثر، فيها موجاً داخلياً.

وتبين بعد دراسة المنطقة بأجهزة الغوص، أنه يوجد تحت منطقة الموج ظلام دامس شديد، أما فوق منطقة الموج فيخفف الظلام تدريجياً حتى سطح البحر، ويمتد هذا الظلام الشديد إلى عمق ألف متر تقريباً، والموج المذكور لا يتكون إلاّ بين ماءين مختلفين، ذلك لأن الطاقة والحرارة والحياة المائية والأسماك

وغيرها تختلف بين أعلى الموج وأسفله...

مع العلم أن الإنسان العادي بدون أجهزة ومعدات خاصة لا يستطيع الغوص في الماء أكثر من ثلاثين متراً، لأن الغوص أكثر من ثلاثين متراً، يسبب خروج غازات الدم الخاصة وتحدث بذلك الوفاة.

وقد وصف الله تعالى هذه المنطقة من البحر فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

ومعنى يغشاه أي يغطّيه، والبحر اللّجي هو العميق الذي تحت الموج الداخلي، والسحاب هو الموجود عادة فوق البحار.

فالموج الأول في الآية الكريمة هي الموج الداخلي العميق، والموج الثاني هو الموجود على سطح البحار وفوقه السحاب. وهذا أيضاً من معجزات القرآن العلمية والتي لم يكتشفها العلم إلاّ عام ١٩٠٠. بينما ذكر القرآن تفاصيل ذلك من قبل (١٣٠٠) عاماً.

موضوع البراكين الموجودة في عمق البحار

تقول الآية الكريمة:

﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور: ١/٦].

من معاني كلمة (مسجور): المُسَخَّن.

ولقد ثبت علمياً، وجود براكين نارية تخرج من قاع البحر، ولم يُعرَف ذلك إلاّ في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد أمكن تصوير هذه البراكين وقياس حرارة الماء الموضعية حول النار الخارجة من قاع البحار.

وكلمة (المسجور) أي المُسَخَّن، تدل على وجود نار تحت البحر، فتسخنه، وهي نار البراكين المكتشفة حديثاً. وقد تكلم القرآن عنه قبل عشرات القرون وهذا دليل قاطع على أن القرآن وحي الله أنزله على محمد ﷺ.

فمن معاني هذه الآية، النجوم والكواكب التي تدور وترجع إلى أماكنها، ويمكننا أن نفسر آية: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ بأن الصدع هو التشقق الحاصل من ضغط كتلتين من القشرة الأرضية.

وهذا أيضاً كشف علمي لَمْ يُعرَف إلاّ في القرن العشرين، بينما أشار إليه القرآن بوضوح في القرن السابع، ولعمري، فإن هذا لَمِن أهم ما يثبت أن القرآن وحي الله إلى رسوله محمد ﷺ، إذ لا يمكن أن يَعْرِفَ واحداً من المليون مما عُرِفَ في القرن العشرين بواسطة الأجهزة العلمية الضخمة المعقدة والتكنولوجيا الحديثة. د

موضوع الجاذبية الأرضية

يقول الله تعالى في كتابه المعجز:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات: ٢٥/٢٦].

والكفات مشتقة من كفت ومعناها: الجذب والضم والجمع، فموضوع أن الأرض لها جاذبية، لم يُكتَشف إلاّ عام ١٦٨٨ من قبل العالم (نيوتن)، فعكف بعد ذلك على فهم قانون الجاذبية فاكتشفها كلها ونظمها تنظيماً رياضياً علمياً، والذي يهمنا في هذا العرض هو أن القرآن الكريم أشار بوضوح أن الأرض تجذب الأجسام نحوها، قال هذا قبل ألف سنة تقريباً حيث سبق الكشف العلمي الحديث.

وبمناسبة المعجزات العلمية للقرآن والخوارق الإلهية التي تُشاهد في هذه الدنيا بين حين وآخر، أُعجِبتُ كثيراً بكلمة الدكتور المهدي بن عبود، تلك الكلمة التي كتبها في مقدمة كتاب: فلا تنسَ الله، للسيدة ليلى الحلو بالمغرب العربي، والتي تذكر قصتها في الكتاب المذكور، إذ كانت قد أصيبت بسرطان الثدي وانتشر في كل جسمها، وقد يئس الأطباء من شفائها في فرنسا وبلجيكا، وقدَّروا أن حياتها ستستمر ثلاثة أشهر فقط، لكنها بإيمانها رفضت هذا الحكم بالإعدام، فسافرت في رحلة إيمانية إلى مكة المكرمة لتتمتع بالعمرة وتدعو الله تعالى في مهبط الوحي، وقد أمضت معظم مدة مكوثها في مكة المكرمة قرب الكعبة المشرفة تدعو الله تعالى ليلاً ونهاراً وتتطلع دائماً من ماء زمزم لقول الرسول ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»، فما هي إلا فترة قصيرة حتى تقبل الله تضرعها ورجاءها، فأنعم عليها بالشفاء التام. ظهر ذلك بعد أن فحصها أطباؤها الأُوَل، وقد أخذهم العجب حين شاهدوا هذه المعجزة الإلهية.

وبعد فترة وجيزة انتكس عليها الداء ثانية في الرئة، فسافرت إلى فرنسا وبلجيكا ثانية، ونالها عذاب شديد من الأعراض الثانوية التي ترافق العلاج الكيميائي الخاص بمرض السرطان، وفي هذه المرة أيضاً يَئِسَ أطباؤها من شفائها، لكنها لم تفقد أملها في الله عز وجل، وظلت تثابر على قراءة القرآن والدعاء بأدعيتها الخاصة، وفي إحدى الليالي شاهدت الرسول ﷺ في الرؤيا وهو يُمسك برأسها ويبشرها بالشفاء، وفعلاً شرع التحسن يبدو عليها تدريجياً حتى شُفيت تماماً، وألّفت بعد ذلك كتابها المشهور (فلا تنس الله) وهي تحكي قصة مرضها وكيفية شفائها.

تحريم الخمر

يقول الله تعالى في القرآن الكريم بسورة المائدة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠/ ٩٢].

يقول هاريسون، الأمريكي، في كتاب خاص عن الخمر، إنه يوجد تسعة ملايين أمريكي يعانون من الإدمان، وذلك بين رجل وامرأة. وهذا يسبب كل عام ٢٥ ألف حادثة وفاة بحوادث السيارات و١٥ ألف حالة قتل وانتحار و٢،٥ مليون حالة اعتقال بوليسية سنوياً.

وتكلف الخمرة الولايات المتحدة ١٥ ألف مليون دولار سنوياً، يُصرَف منها ١٠ آلاف مليون دولار نتيجة تلف الممتلكات والخسارات، وتهيىء الخمرة للإصابة بسرطان المريء والمعدة. وأن ٨٥٪ من مدمني الكحول(١) يصابون بتشمع الكبد. ويموت في فرنسا سنوياً ٢٢٥٠٠ شخصاً بسبب إصابة الكبد من الكحول، وهو العامل الأول في التهاب البنكرياس الحاد. ويسبب الكحول ٣٥٪ من التشوهات الولادية عند الأمهات الكحوليات.

وباختصار، يسبب الخمر الحالات المرضية التالية:

أولاً: تثبيط وظيفة قشر الدماغ وتعطيلها، ويؤثر الخمر على التشكلات الشبكية في الدماغ المتوسط والمخيخ والجذع المخي والعصاب القحفية والشوكية.

ثانياً: التهاب المريء والمعدة وإثارة السرطان فيهما.

ثالثاً: التهاب البنكرياس الحاد وتشمع الكبد.

رابعاً: اعتلال العضلة القلبية وتسريع حوادث التصلب الشرياني.

خامساً: اضطرابات سوء الامتصاص والإصابة بمختلف أنواع فقر الدم.

سادساً: أمراض نفسية كثيرة مثل الهذيان الارتعاشي، والتأخر العقلي وتناذر كورساكوف المرضي العصبي.

مجموعة عددية لإعجاز القرآن الكريم:
تساوي الألفاظ المترابطة والمتناقضة في القرآن

مثال المترابطة: الدنيا ـ والآخرة، الإيمان ـ والعمل الصالح... وهكذا إذ تكررت كل واحدة منها «١١٥» مرة.

والمتناقضة: كالملائكة ـ والشياطين، والليل ـ والنهار، إذ تكررت كل واحدة منها «٨٨»مرة.

وهناك توازن رقمي، فمثلاً تكرر لفظ الشهر ١٢ مرة بعدد شهور السنة، ولفظ اليوم «٣٦٥» مرة بعدد أيام السنة، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾. [النساء: ٨٢]

أيمكن أن يُقال عن هذا التساوي وذلك التوازن، أنه صدفة كما زعم البعض؟

إن قولهم «صدفة» لخطأ جسيم وقول سقيم وذنب عظيم، لأن الصدفة أمر يتم بلا تدبير وتفكير وبلا هدف أو قصد، وحاشا أن يقع في ملك الله عز وجل شيء بلا تدبير وبلا قصد وبلا هدف، فكيف بالقول في كتاب العظيم، القرآن الكريم، فلقد وُضِعت الصدفة موضع الدراسة العلمية والعملية والمعلمية، بعد أن أشاع الماديون والملاحدة أن الخلق

قد تم صدفة. . . فبدأ العلماء بدراسة احتمال الصدفة في تكوين الخلية الحية، وهي في خطواتها الأولى التي هي أساس الجسد الحي، ألا وهي تكوين البروتين الحي الذي يتكون من خمسة عناصر وهي (الكربون والإيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت) من بين «٩٢» عنصراً موزعاً في الكون، واحتمال اجتماع هذه العناصر تحديداً (أي الخمسة) دون باقي العناصر، فقام العالم السويسري تشارلز يوجين بحساب هذه الاحتمالات، فوجد أن احتمال ظن، أن الآيات التي أحكمت ثم فصلت، يحتمل أن يقع فيها أو يجري عليها حكم الصدفة. استغفر الله العظيم. . ولا إله إلا الله. وصدق الله تعالى حينما قال في الآية الأولى من سورة هود:

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

إخبار القرآن الكريم عن الوقائع المستقبلة

سأذكر هنا بعض الوقائع التاريخية التي تنبأ بها القرآن، وهي معجزات تضاف على ما سبق من المعجزات العلمية والعددية والرقمية:

المعجزة الأولى:

قال تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ١/٥].

بدأت الحرب بين الفرس والروم عام «٦٠٣» من الميلاد، وانتهت عام «٦١١» منه، بانتصار الفرس على الروم، وكما ذكر القرآن الكريم انتصَرَالروم على الفرس بعد بضع سنين، لأن كلمة بضع في اللغة

العربية تعني فترة تتراوح من الثلاث إلى التسع، وكان نصر الروم عليهم عام «٦٠٩» ميلادي.

هنا نقول: ما الذي كان يجري لَوْ لم تحدث معركة بين الروم والفرس، أو حدثت معركة ولكن هُزِم فيها الروم..!؟ أكان يُصدق أي إنسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد..؟

ثم نقول لأولئك الذين يزعمون بأن القرآن من تأليف محمد ﷺ:

ما الذي يدفع محمداً إلى أن يدخل في قصة غيبية كهذه يخاطر بها ولم يَطلب منه أحد الدخول فيها، أيُضيِّع الدين من أجل مخاطرة كهذه..؟ ولم يَتَحدَّه فيها إنسان...!، فما بالك أن يأتي هذا ويقول أنه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر فيها الروم..! وهل أَمِن محمد ﷺ على نفسه أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة..؟.

المعجزة الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح: ٢٧].

وهذا الذي حصل فعلاً، فقد دخل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وأصحابه، مكة، فاتحين لا يخافون بعد ذلك، وهذا تأكيد على أن ما وعده كان، وعلى نُبوتِه ﷺ بإظهار المعجزات.

المعجزة الثالثة:

عن الأخبار الماضية والأحداث السحيقة في القدم: قال الله تعالى:
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩].

لم يكن أحد أيام رسول الله ﷺ يعرف شيئاً عن أهل الكهف، أي لم يكن يوجد أي دليل مادي على صحة ما جاء في القرآن الكريم عن قصة

أصحاب الكهف، إلى أن انقضى تسعة عشر قرناً على خبرهم، ومرور أربعة عشر قرناً على ما جاء في القرآن الكريم بشأنهم، وجاء عصرنا هذا فاكتشف عالم الآثار الأردني السيد (رفيق وفا الدجاني) عام ١٩٦٣ عند منطقة (الرجيب) بالأردن، مغارة الكهف التي اتخذها أصحاب الكهف مرقداً لهم حين دخلوها هاربين بأنفسهم، وفارّين بدينهم وإيمانهم بالله عز وجل من طغيان الملك (دقيانوس)، وظهر في الكهف ثمانية قبور، وهو العدد الذي ذُكِرَ في القرآن عنهم.

وبقرب باب الكهف وجدت جمجمة كلب (الفك العلوي فقط) وكان حارسهم. وعدد أصحاب الكهف سبعة، بينهم الراعي، وثامنهم كلبهم. وقد دفن الكلب على عتبة الباب حيث كان يحرس، ولم يدفن في القبر الثامن.

يقول تعالى عن هذه القصة، بأسلوب القرآن البلاغي المعجز:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف: ٢٢].

معجزة الأرقام في القرآن الكريم

إن معجزة الأرقام في القرآن الكريم موضوع مذهل حقاً، وقد بدأ بعض العلماء المسلمين، أمثال الدكتور رشاد خليفة، والأستاذ عبد الرزاق نوفل، وغيرهم، بدراستها منذ مدة قريبة لا تزيد عن العشرين عاماً، ولولا الآلات الإحصائية والعقول الإكترونية ما أمكن دراسة وإنجاز هذا الإعجاز الرياضي الحسابي المذهل. فهذا الإعجاز مؤسس على أرقام، والأرقام تتكلم عن نفسها بنفسها، فلا مجال هنا للمناقشة أو إبداء النظريات المتناقضة، كما لا يمكن إيجاد أي حجة لرفضها، وهي تثبت إثباتاً لا ريب فيه أن القرآن الكريم هو لا شك من عند الله، وأنه وصلنا سالماً من أي تحريف أو زيادة أو نقصان، لأن نقص حرف واحد أو كلمة واحدة، أو بالعكس، زيادتهما، يخل بكل النظام الحسابي للقرآن. وقد شاء الله تعالى أن تبقى معجزة الأرقام سراً حتى اكتشاف العقول الالكترونية، وهذا ما يفسر الآية الكريمة:

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [فصلت: ٥٤].

وجاءت الأخبار مؤخراً من العالم الغربي أن الإعجاز العددي للقرآن الكريم وضع موضع دراسة واختبار، كما بدأت تعقد مؤتمرات في العالم العربي والإسلامي، تبحث عن الإعجاز العلمي والعددي للقرآن، وآخر مؤتمر عقد عام ١٩٨٩ في مكة المكرمة، وقد قدم فيه عدد ضخم من الأبحاث من قبل مختلف العلماء المتخصصين العرب والمسلمين، منها عشرة أبحاث قدمت من قبل علماء من العالم الغربي.

وإليكم بعض ما اكتشف من الإعجاز العددي لبعض الكلمات الواردة من القرآن الكريم، نقلاً عن كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل:

الحياة تكررت ١٤٥ مرة... الموت تكررت ١٤٥ مرة

الصالحات تكررت ١٦٧ مرة... السيئات تكررت ١٦٧ مرة

الدنيا تكررت ١١٥ مرة... الآخرة تكررت ١١٥ مرة

الملائكة تكررت ٨٨ مرة... الشياطين تكررت ١٤٥ مرة

المحبة تكررت ٨٣ مرة... الطاعة تكررت ٨٣ مرة

الهدى تكررت ٧٩ مرة... الرحمة تكررت ٧٩ مرة

الشدة تكررت ١٠٢ مرة... الصبر تكررت ١٠٢ مرة

السلام تكررت ٥٠ مرة... الطيبات تكررت ٥٠ مرة

المصيبة تكررت ٧٥ مرة... الشكر تكررت ٧٥ مرة

الجهر تكررت ١٦ مرة... العلانية تكررت ١٦ مرة

إبليس تكررت ١١ مرة... الإستعاذة بالله تكررت ١١ مرة

محمد والملكوت وروح القدس والسراج تكرر كل واحد منهم ٤ مرات

الرحمن تكررت ٥٧ مرة... الرحيم تكرر ١١٤ مرة أي الضعف.

الجزاء تكررت ١١٧ مرة... المغفرة تكرر ٢٣٤ مرة أي الضعف.

الفجار تكررت ٣ مرة... الأبرار تكرر ٦ مرة أي الضعف.

العسر تكررت ١٢ مرة... اليسر تكرر ٣٦ أي ثلاثة أضعاف.

قل تكررت ٣٣٢ مرة... قالوا تكررت ٣٣٢مرة.

إنّ الدراسة السابقة شملت فقط مائتين تقريباً من ألفاظ

القرآن، مع العلم أن ألفاظ القرآن تزيد عن السبعين ألف، فكيف لو وضعت كل ألفاظه موضع الدراسة العددية بل كيف لو وضعت حروفه التي تبلغ بضع مئات من آلاف الحروف؟.

الحروف المفردة

إذا استعرضنا الحروف المفردة، والسور التي بدأت بها، فإننا نجدها كالآتي:

رقم مسلسل	الحروف	عددها	اسم السورة
١	آلم	٣	البقرة
٢	آلم	٣	آل عمران
٣	آلمص	٤	الأعراف
٤	آلر	٣	يونس
٥	آلر	٣	هود
٦	آلر	٣	يوسف
٧	آلمر	٤	الرعد
٨	آلر	٣	إبراهيم
٩	آلر	٣	الحجر
١٠	كهٰيعص	٥	مريم
١١	طٰه	٢	طه
١٢	طسٰم	٣	الشعراء
١٣	طسٰ	٢	النمل
١٤	طسٰم	٣	القصص

١٥	آلم	٣	العنكبوت
١٦	آلم	٣	الروم
١٧	آلم	٣	لقمان
١٨	آلم	٣	السجدة
١٩	يٰس	٢	يس
٢٠	صۤ	١	ص
٢١	حٰم	٢	غافر
٢٢	حٰم	٢	فصلت
٢٣	حٰم عسق	٥	الشورى
٢٤	حٰم	٢	الزخر ف
٢٥	حٰم	٢	الدخان
٢٦	حٰم	٢	الجاثية
٢٧	حٰم	٢	الأحقاف
٢٨	قۤ	١	ق
٢٩	ن	١	القلم

وبتأملها، بل ومن النظرة الخاطفة السريعة، نجد أن هناك حساباً وأرقاماً وترقيماً أكثر من أن يعد أو يحصى. منها:

* إن عدد سور القرآن التي بدأت بها هذه الحروف هو ٢٩ وإن هذا العدد هو عدد حروف الهجاء للغة العربية التي تتكون منها سور القرآن.

* إن عدد هذه الحروف المفردة في السور التي تبدأ بها هو ٧٨ حرفاً. وأنه نفس عدد حروف أول آيات القرآن نزولاً، وهي:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١/ ٥].

أي أن عدد الحروف المفردة في أوائل السور تساوي عدد حروف أوائل آيات القرآن الكريم.

* إنه إذا استبعدنا الحروف المتكررة من هذه الحروف وجدنا أنها:

أ. ل. م. ص. ر. ك. ه. ي. ط. س. ح. ق. ن.

وهذه عددها ١٤ حرفاً، وإذا استعرضنا السور التي لا تتكرر في فواتحها نفس الحروف بتركيبها، وجدنا أنها سور:

البقرة. الأعراف. يونس. الرعد، مريم. طه. الشعراء. النمل. يس. ص. غافر. الشورى. ق. القلم.

وهذه عددها ١٤ سورة.

أي أن الحروف التي لا تتكرر في الحروف المفردة عددها ١٤ حرفاً.. وأن السور التي لا يتكرر فيها نفس تركيب الحروف المفردة هي ١٤ سورة.

توافق عددي وتوازن حسابي:

لو تدبرنا عدد حروف لفظ الدنيا لوجدناها ستة حروف، وأيضاً حروف لفظ الحياة... هي ستة حروف. وعناصر الدنيا... هي السماوات وما فيها... والأرض وما عليها، فهذه تشير إليها... وتعتمد عليها، وقد قرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد خلقها في ستة أيام أي ست مراحل وذلك بمثل النص الشريف:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ولو تدبرنا لفظ الإنسان.. لوجدناه يتكون من سبعة حروف..

ويقرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه في سبع مراحل هي.. بضعة من سلالة طين، ثم تصبح نطفة، ثم علقة، فمضغة، ثم عظاماً، ثم لحماً، ثم خلقاً آخر على شكل الإنسان. وذلك في مثل النص الكريم:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٢/ ١٤].

أي أن الدنيا ولفظها، يتكون من ستة حروف، خلقت في ست مراحل. والإنسان وحروفه سبعة خلق في سبع مراحل.

ونجد أن فاتحة الكتاب وهي أول سور المصحف الشريف ونصها:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ١/ ٧].

تتكون من سبع آيات بما فيها البسملة اعتبرت آية.. وهذه تتكرر في كل السور ما عدا سورة (براءة).. ولا تعتبر فيها كلها أنها آية.. فالفاتحة سبع آيات بالبسملة، وست بغير البسملة. وآخر سور المصحف الشريف وهي سورة (الناس) ونصها:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الناس: ١/ ٦].

تتكون أيضاً من ست آيات بغير البسملة.

والعدد سبعة. سبق الحديث عن بعض ما ورد فيه، وجاء به،

وأسند إليه، في القرآن الكريم، وذلك في مجموعة الإعجاز العددي للقرآن الكريم، أما الإضافة إليها، فهي أن الإنسان ولفظه، يتكون من سبعة حروف وخلق على سبع مراحل يتساوى معه في عدد الحروف ألفاظ القرآن... والفرقان... والإنجيل... والتوراة... فكل منها يتكون من سبعة حروف... فهل هذه إشارة عددية وموازنة حسابية إلى أن هذه الرسالات والكتب إنما نزلت للإنسان... لمختلف مراحله... وشتى أحواله. وفي المواجهة... وعلى النقيض، نجد الشيطان... ويتكون لفظه من سبعة حروف... فهل ذلك تأكيد لعداوته للإنسان في كل مرة... ومختلف حالاته... وأنه يحاول أن يصده تماماً وكاملاً عن الهداية التي أنزلها الله للإنسان كاملة وشاملة بنبوة إبراهيم وصحف موسى والتوراة والإنجيل، والفرقان وهو القرآن.. حقاً... وصدقاً، وسبحانه وتعالى (له الأمر)... وهذه أيضاً حروفها سبعة. وإذا أراد شيئاً جل شأنه قال له: (كن فيكون)، وهذه أيضاً حروفها سبعة. وخلق فوق الإنسان سبع طرائق بالنص الكريم:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

وجعل لجهنم سبعة أبواب كذلك بالنص الشريف:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر: ٤٣/ ٤٤].

تعرفي على الكون

يتألف الكون من ملايين المجرات، وما نظامنا الشمسي والذي يشمل الشمس والأرض والقمر والكواكب: مثل المشتري وزحل والمريخ إلا جزء صغير جدًّاً من إحدى هذه المجرات وتسمى مجرة درب التبانة، ويوجد بها مائة مليون نجم تغطي مساحة هائلة يتطلب قياسها ملايين السنين الضوئية.

موقع نظامنا الشمسي:

يقع نظامنا الشمسي (الشمس والأرض والمريخ. . . .) على بعد ٢٨ ألف سنة ضوئية من مركز مجرتنا ـ درب التبانة ـ فقط، والنظام الشمسي كاملاً يدور ببطء حول مركز المجرة.

حجم الكون الذي نراه:

نصف قطره= ١٥ بليون سنة ضوئية.

عمر الكون:

يقدر العلماء عمر الكون بنحو ١٦ دهراً، والدهر يساوي ألف مليون سنة فيكون تقدير عمر الكون بنحو ١٦ ألف مليون سنة والله أعلم.

المجرة:

هي اسم يطلق على مساحة هائلة تضم عدداً كبيراً جدّاً من النجوم والكواكب، وشمسنا المعروفة ما هي إلا نجم واحد فقط من ملايين

النجوم الأكبر منها والأصغر التي تؤلف مجرتنا فقط، ومجرتنا هذه السحيقة الأبعاد ما هي إلا مجرة واحدة في الكون من ملايين المجرات ويطلق الفلكيون على مجرتنا ـ جزيرة عالمنا ـ أي ما هي إلا جزيرة صغيرة جدّاً في محيط هائل، وفي الكون ما يزيد عن مائة مليون مجرة.

ويقدر العلماء عدد المجرات في الكون بما يزيد على مائة مليون مجرة.

أما أشكال المجرات فمنها ذات الشكل اللولبي، ومنها ذات الشكل البيضاوي ومنها ذات المجرة المشطوبة التي لها ذراعان من كل جانب.

ويقدر العلماء المسافة بين طرفي مجرتنا فقط ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية أي ٩٤٦,٠٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كم أي ما يعادل (٩٤٦٠٨٠) ترليون كيلومتر.

ويبلغ قطر مجرتنا ٧٠ ألف سنة ضوئية.

النجم:

هو جسم مضيء إضاءة ذاتية.

الكوكب:

هو جسم مظلم ويكتسب ضوءه من النجم، وهو أصغر من النجم ويدور حول النجم مثل كوكب الأرض والمريخ وعطارد والزهرة والمشتري.

وأشهر النجوم الأكبر من الشمس:
النجم الأزرق (أكبر من الشمس بنحو ٢١٠٠ مرة) ونجم بيت الجوزاء، ونجم باسليون، ونجم أركتوروس، ونجم أنتارسي، وبتلجوس، وهناك مئات الآلاف من النجوم المضيئة بذاتها، والتي يفوق حجمها حجم الشمس بآلاف المرات.

وهناك نجوم أصغر من شمسنا المعروفة مثل نجم برنار، نجم ولف، ونجم سيريوس، وهناك ملايين النجوم الأصغر من الشمس.

ويوجد في مجرتنا فقط أكثر من مائة مليون نجم. كما يوجد في الكون مئات الملايين من النجوم الهائلة.

ويعتبر نجم أيتا كاربنا أكثر إشعاعاً من الشمس بنحو ٦ ملايين مرة، وهناك نجم سيغنوس والنجم العملاق والنجم القطبي الذي تفوق قوته قوة الشمس بآلاف المرات.

السنة الضوئية:

هي مقدار المسافة التي يقطعها الضوء بسرعته في سنة كاملة، وسرعة الضوء تساوي ٣٠٠ ألف كم في الثانية الواحدة فتكون المسافة التي يقطعها الضوء في سنة تساوي ٣٠٠,٠٠٠ ×٦٠ ×٦٠ ×٢٤ × ٣٦٥= ٩,٤٦٠,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠كم(٩ترليون+ ٤٦٠ مليار+ ٨٠٠مليون كم) والسنة الضوئية هي وحدة قياس المسافات الفلكية الكبيرة، وتم اختيار هذا المقياس نظراً للأبعاد الهائلة بين الأجرام الكونية.

المجموعة الشمسية:

المجموعة الشمسية اصطلاح يطلق على الشمس وما يتبعها من كواكب كالأرض والمريخ والمشتري... والمجموعة الشمسية هي جزء صغير جدّاً في مجرة درب التبانة.

والنظام الشمسي كاملاً يدور ببطء حول مركز المجرة أي أن جميع الكواكب تدور حول الشمس، والشمس تدور حول مركز المجرة والكل يدور حول مركز المجرة أيضاً.

وتتكون المجموعة الشمسية من:

١ـ نجم واحد وهو الشمس المعروفة.

٢ـ الكواكب: وهي عشرة (بلوتو، نبتون، أورانوس، زحل، المشتري، المريخ، الأرض، الزهرة، عطارد، خيرون، وهي تدور حول الشمس.

٣ـ الكويكبات: وهي مجموعة كبيرة من الأجسام المختلفة الحجم وهي تدور حول الشمس.

٤ـ توابع الكواكب: وهي الأقمار التي تتبع للكواكب العشرة السابقة وعددها ٦٤ قمراً، وللأرض قمر واحد منها وهو القمر المعروف.

٥ـ الشهب والنيازك: فالشهب هي أجرام سماوية تتكون من مواد صلبة تدخل الغلاف الجوي بسرعة ٢٤٠كم/ساعة وهي متوهجة ولكنها تتلاشى عند ارتفاع ٨٠ كيلو عن الأرض. والنيازك هي كتل صخرية أو معدنية كبيرة تصل إلى سطح الأرض والشهب والنيازك تقدر بالملايين.

ب ـ الشمس:

قطرها= ١,٣٩٢,٤٠٠كم.

مساحتها= ٤٨٤,٤١٦,٠٠٠,٠٠٠كم٢.

حجم الشمس = ١,٣٠٠,٠٠٠ مرة مثل حجم الأرض وهذا الحجم يساوي ٩٩,٨٪ من حجم المجموعة الشمسية كلها.

كتلتها= ١٢٩طن أي ٣٣٣,٤٣٤ ضعف كتلة الأرض.

كثافتها= ١٤١٠كم/م٣.

جاذبيتها= ٢٨ مرة ضعف جاذبية الأرض.

حرارة سطحها= ٦٠٠٠ درجة مئوية.

حرارة باطنها= من ١٥ إلى ١٦ مليون درجة مئوية.

عمرها: ٤٦٠٠ مليون سنة(نفس عمر الأرض).

متوسط المسافة بين الشمس والأرض: ١٤٩,٦٣١,٠٠٠كم.

دورانها حول نفسها: تدور الشمس دورة كاملة حول نفسها كل ٢٥ يوماً عند خط الاستواء وكل ٣٤ يوماً عند القطبين.

دورتهاحول مركز المجرة:تدور الشمس حول مركز المجرة دورة كاملة كل ٢٢٥ مليون سنة أي تحتاج إلى ٢٢٥ مليون سنة لتكمل دورة واحدة حول مركز المجرة.

أقرب الكواكب إلى الشمس:أقرب الكواكب إلى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ، ثم أورانوس ثم نبتون ثم بلوتو ثم خيرون.

والشمس تدور حول نفسها، وتدور حول مركز المجرة وتحتاج طائرة تسير بسرعة ١٢٠٠ كيلو في الساعة تحتاج إلى ١٤ وربع سنة لقطع المسافة بين الأرض والشمس.

وتفقد الشمس من كتلتها ٤ مليون طن في الثانية الواحدة، وحجم كتلة الشمس يبلغ رقماً هائلاً لا يعلمه إلا الله تعالى.

كسوف الشمس:

يحدث كسوف الشمس (احتجاب نورها) إذا توسط القمر بين الأرض والشمس ويكون كسوفاً كلياً أو جزئياً حسب وضع القمر بينهما.

والكسوف الكلي للشمس يحدث مرة كل ٣٦٠ عاماً والله أعلم.

وقد سجل آخر كسوف كلي للشمس عام ١٩٢٧ وقد حدث كسوف عام١٩٥٤م ولكنه كان كلياً على مناطق وجزئياً على مناطق أخرى.

جـ ـ القمر :

القمر هو تابع للأرض ويدور حولها وحول نفسه .

أدنى بعد للقمر عن الأرض = ٣٥٦ ألف كم .

البعد المتوسط للقمر عن الأرض = ٤٠٠ , ٣٨٤ كم .

أقصى بعد للقمر عن الأرض = ٧٠٠ , ٤٠٦ كم .

مساحة القمر : ١٠ مليون كم٢ تقريباً .

جاذبية القمر : ١٧ , ٠ م/ ثانية وتساوي سدس جاذبية الأرض .

درجة حرارته : من ١٠٠ درجة في الظهر إلى (١٥٠ تحت الصفر) في الليل .

طول الشهر القمري : ٢٩ يوماً و١٣ ساعة .

دوران القمر حول نفسه : يدور القمر حول نفسه دورة كاملة كل ٢٧ يوماً وثمان ساعات .

دوران القمر حول الأرض : يدور القمر حول الأرض مرة كل ٥ , ٢٩ يوماً .

والقمر ليس مضيئاً بذاته بل يكتسب نوره من أشعة الشمس التي يعكسها ولا يوجد على القمر أوكسجين ولا ماء فلا حياة عليه .

د ـ الأرض :

عمر الأرض : ٤٦٠٠ مليون سنة .

شكل الأرض : الأرض بيضاوية الشكل وليست كرة كاملة ، وهي مفلطحة عند القطبين ومنبعجة عند خط الاستواء .

قطرها عند خط الاستواء : ١٢٧٥٦ كم من الغرب إلى الشرق .

قطرها بين القطبين : ١٢٧١٣ كم من الشمال إلى الجنوب .

طول محيطها عند خط الاستواء : ٤٠٠٧٧ كم .

طول محيطها بين القطبين: ٤٠٠٠٩كم.

مساحة الأرض: ٥١٠,٠٠٠,٠٠٠ كم٢ منها ١٤٩ مليون كم٢ يابسة و٣٦١ مليون كم٢ ماء(محيطات وبحار).

وزنها: يقدر العلماء وزن الأرض نحو ٦٥٩٥ * ١٠ طن أي ستة آلاف مليون ترليون طن.

سرعة دورانها حول نفسها: ١٠٨,٠٠٠كم في الساعة.

سرعة دورانها حول الشمس: ١٠٨,٠٠٠ كم في الساعة.

مدة دورانها حول نفسها: تكمل الأرض دورة واحدة كاملة حول محورها في ٢٤ ساعة (٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ ثواني).

مدة دورانها حول الشمس: تكمل الأرض دورة واحدة كاملة حول الشمس في ٣٦٥ يوماً(سنة كاملة) وبالضبط ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و١٠ ثواني.

كثافتها: ٥,٥٢ غرام/ سم٣.

كثافة باطنها: ١٠,٧ غرام/ سم٣.

درجة حرارتها: من ٧٠ درجة تحت الصفر إلى ٥٠ درجة فوق الصفر.

درجة حرارة باطنها: ٤٠٠٠ درجة مئوية.

عمر الإنسان على الأرض: يقدر العلماء عمر الإنسان على الكون نحو مليون سنة تقريباً.

أقصى بعد بين الأرض والشمس: ١٥٢,١ مليون كم.

البعد المتوسط بين الأرض والشمس: ١٤٩,٦ مليون كم.

البعد الأدنى بين الأرض والشمس: ١٤٦,٤مليون كم.

بعد الأرض عن القمر: ٣٨٤,٤٠٠كم.

عدد أقمارالأرض: قمر واحد وهو الذي نراه.

المسافة التي تقطعها الأرض خلال دورانها حول الشمس: ٩٣٩,٨٨٥,٥٠٠ كم.

المسافة التي تقطعها الأرض خلال دورانها حول نفسها: ٢,٥٩٢,٠٠٠ كم.

أقرب جسم فضائي للأرض: هو القمر ٣٨٤،٤٠٠كم.

أقرب كوكب للأرض: هو كوكب الزهرة ويبعد عنها ٤١ مليون كم.

أبعد كوكب عن الأرض: هو الكوكب بلوتو ويبعد عنها ٥٨٥٥ مليون كم.

اليوم النجمي على الأرض: هو المدة التي تنقضي بين ظهور نجم من النجوم الليلية يكون في سمت الرأس في ليلتين متتاليتين وهو الوقت نفسه الذي تستغرقه الأرض لإكمال دورة واحدة حول نفسها وهو ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ثواني.

اليوم الشمسي على الأرض: هو المدة بين ظهور الشمس في وقت الزوال في يومين متتاليين، وهي ٢٤ ساعة بالضبط.

عدد سكان الأرض: يقدر العلماء عدد سكان الأرض الآن نحو٦مليار نسمة.

أعلى نقطة على الأرض: هي قمة جبل إيفرست وارتفاعها ٨٨٤٨ متراً.

أخفض نقطة على الأرض: منطقة البحر الميت ٣٩٦متراً تحت سطح البحر.

أما أخفض نقطة في المياه، فهي خندق ماريانا في المحيط الهادي ويساوي انخفاضه ١١٠٣٤متراً تحت سطح البحر.

سبب حدوث الليل والنهار على الأرض: يحدث الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، ونظراً لكروية الأرض، فإن وجهي الأرض يتعاقبان أمام الشمس كل يوم فالوجه المقابل للشمس يكون نهاراً والوجه المختفي يكون ليلاً.

سبب حدوث الفصول الأربعة: تدور الأرض حول نفسها من الغرب إلى الشرق ومحور الأرض الذي تدور حوله يميل عن المستوى الرأسي بزواية ٢٣ درجة، والأرض في الوقت نفسه تدور حول الشمس دورة واحدة كل سنة، فنظراً لذلك كله تحدث الفصول الأربعة، وهي الصيف والخريف والشتاء والربيع.

أنواع التقويم

١ـ التقويم الشمسي:

وهو أول تقويم معروف في العالم وابتكره قدماء المصريين، والسنة فيه تساوي ٣٦٥ يوماً وربع.

٢ـ التقويم اليوليوسي الميلادي:

وهو التقويم الميلادي المستخدم حالياً، وقد بدأ العمل في هذا التقويم سنة ٤٦ قبل الميلاد، وينسب إلى الامبراطور الروماني يوليوس قيصر، وعدد أيام السنة فيه ٣٦٥ يوماً، وفي كل أربع سنوات سنة كبيسة أيامها ٣٦٦ يوماً.

٣ـ التقويم الهجري:

ويبدأ من هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وأول من عمل به

هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتتألف السنة فيه من ١٢ شهراً وكل شهر يساوي ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً وعدد أيام السنة فيه ٣٥٤ يوماً أو ٣٥٥ يوماً، ويبدأ التاريخ به من ١٦ يوليو ٦٢٢م. وقد ابتدأ عمر بن الخطاب بالتأريخ بالتقويم الهجري سنة ١٦ للهجرة.

٤ـ التقويم الغريغوري:

وقد عرف هذا التقويم عام ١٥٨٢م، وتم فيه خصم ١٠ أيام من السنة الميلادية.

٥ـ التقويم العبري:

وهو تقويم اليهود ويبدأ التاريخ به من ٣٧٦١ سنة قبل الميلاد، والعام فيه مكون من١٢ شهراً قمرياً، وبعض السنوات تكون ١٣ شهراً قمرياً.

٦ـ التقويم الإيراني:

وقد بدأ العمل به سنة ١٩٢٥، وتبدأ السنة فيه من يوم ٢١ آذار من كل سنة ميلادية.

٧ـ التقويم الأثيوبي:

وهو مستنبط من التقويم المصري القديم، والسنة فيه ١٢ شهراً وكل شهر ٣٩ يوماً وتضاف ٥ أيام في شهر من الشهور، ويبدأ من عام ٢٨٤م.

٨ـ التقويم الجمهوري:

أُنشىء هذا التقويم عام ١٧٩٣م والسنة فيه ٣٦٥ يوماً والشهور ١٢ شهراً والشهر مقسم إلى ثلاثة أقسام.

٩ـ التقويم العالمي:

وهذا التقويم يقول: إن أيام السنة نفسها تقع دائماً في كل سنة في التاريخ نفسه.

السجل الجيولوجي للأرض

يقدر عمر الأرض بنحو ٤٥٠٠ إلى ٤٦٠٠ مليون سنة على الأقل.

أولاً: أبد (دهر) الحياة الخافية (عهد ما قبل الكمبري)

ويمتد هذا الأبد من قبل ٤٦٠٠ مليون سنة إلى ما قبل ٦٠٠ مليون سنة ويتألف من ثلاثة أزمنة.

- الزمن الأسفل منذ ٤٦٠٠ مليون سنة إلى ٢٥٠٠ مليون سنة.
- الزمن المتوسط منذ ٢٥٠٠ مليون سنة إلى ١٠٠٠ مليون سنة.
- الزمن الأعلى منذ ١٠٠٠ مليون سنة إلى ٦٠٠ مليون سنة.

ويتكون أبد الحياة الخافية من عدة أحقاب.

أ ـ حقب الأزويك (لا حياة):

ويمتد من قبل ٤٦٠٠ مليون سنة إلى ٤٠٠٠ مليون سنة.

ب ـ حقب الأركيوزويك (الأركي) بدء الحياة.

ويمتد من قبل ٤٠٠٠ مليون سنة إلى ما قبل ٢٥٠٠ مليون سنة (ومظاهره صخور نارية ومتحولة).

ويتألف هذا الحقب من عصرين:

١ـ **عصر كيواتن:** ويمتد من قبل ٤٠٠٠ مليون سنة إلى ما قبل ٣٠٠٠ مليون سنة.

٢ـ العصر الكريتاسي أو الطباشيري: (من قبل ١٣٦ مليون سنة إلى ما قبل ٦٥ مليون سنة).

ومظاهره: ظهور النباتات المزهرة وانقراض الديناصورات.

جـ ـ الحقب الكانيوزي (السنيوزوي) حقب الحياة الحديثة ـ العهد الثالث والرابع ـ:

ويمتد من قبل ٦٥ مليون سنة إلى اليوم.

ويتكون من عهدين وعدة عصور.

أ ـ العهد الثالث (الثلاثي) (من قبل ٦٥ مليون سنة إلى ما قبل ٢ مليون سنة ويشمل العصور التالية:

١ـ العصر الباليوسيني: (من قبل ٦٥ مليون سنة إلى ما قبل ٥٥ مليون سنة).

وأهم مظاهره: ظهور الحيوانات ذوات الخف والحافر.

٢ـ العصر الأيوسيني: (من قبل ٥٥ مليون سنة إلى ما قبل ٣٨ مليون سنة).

وفيه ظهرت الثدييات الحديثة).

٣ـ العصر الأوليغوسيني (من قبل ٣٨ مليون سنة إلى ماقبل ٢٥ مليون سنة).

وفيه تكاثرت الثدييات السريعة الجري.

٤ـ العصر الميوسيني (من قبل ٢٥ مليون سنة إلى ما قبل ٥ مليون سنة).

وفيه ظهرت الثدييات العشبية.

٥ـ العصر البلايوسيني (من قبل ٥ مليون سنة إلى ما قبل ٢ مليون سنة).

وفيه ظهرت آكلات اللحوم الضخمة.

ب ـ **العهد الرابع (الرباعي)** من ثيب ٢ مليون سنة إلى اليوم.

معلومات عامة

ـ يمكن أن نحدد الوقت في مكان ما في العالم إذا عرفنا خط طوله.

ـ ويختلف الزمن على سطح الأرض من مكان لآخر نتيجة دوران الأرض حول نفسها، مما يُسبب شروق الشمس على مناطق قبل أخرى.

ـ ويقدم المسافر شرقاً ساعته بمقدار ٤ دقائق لكل درجة طولية، والمتجه غرباً يؤخرها ٤ دقائق لكل درجة طولية، لأن الأرض تدور من الغرب إلى الشرق وهذا يعني أن الشمس تشرق على المناطق الواقعة شرق جرينتش قبل المناطق الواقعة في غربه. وحيث أن الأرض تقطع كامل محيطها وهو ٣٦٠ درجة طولية في ٢٤ ساعة فيكون لكل درجة طولية ٤ دقائق.

ـ وقد سجل أضخم انفجار بركاني في العالم في جزيرة كاراكتوا بين جاوة وسومطرة عام ١٨٨٣م وبلغت قوته ما يعادل ٢٦ قنبلة هيدروجينية.

ـ يساوي الدهر في عرف الجيولوجيين بليون سنة.

ـ أوراسيا: هي اسم تعرف به قارتي أوروبا وآسيا معاً.

ـ أطول نهر في المغرب هو نهر أم الربيع وطوله ٥٥٥ كلم ينبع من جبال أطلس ويصب في المحيط الأطلسي.

ـ **بداية الفصول ونهايتها:**

ـ **فصل الربيع**: ويبدأ في ٢١ مارس وينتهي في ٢٠ يونيو ويكون على النصف الجنوبي ـ جنوب خط الاستواء في هذه الفترة الخريف،

وفي هذه الفترة أيضاً يتساوى الليل والنهار على جميع الأرض.

ـ **فصل الصيف**: ويبدأ من ٢١ يونيو إلى ٢٢ سبتمبر ويكون فصل الشتاء في هذه الفترة قد حل على نصف الكرة الجنوبي، وفي هذه الفترة يطول النهار ويقصر الليل في نصف الكرة الشمالي بينما يقصر النهار ويطول الليل في نصف الكرة الجنوبي.

ـ **فصل الخريف**: ويبدأ من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٠ ديسمبر ويحل الربيع في نصف الكرة الجنوبي، وفي هذه الفترة يتساوى الليل والنهار في جميع بقاع الأرض.

ـ **فصل الشتاء**: ويبدأ من ٢١ ديسمبر إلى ٢٠ مارس ويحل الصيف في هذه الفترة على نصف الكرة الجنوبي، وفي هذه الفترة يقصر النهار ويطول الليل في نصف الكرة الشمالي بينما يطول النهار ويقصر الليل في نصفها الجنوبي.

خطوط الطول وداوائر العرض وأبعادهما

ـ **خطوط الطول**: هي خطوط وهمية افترضها العلماء لتسهيل عملية حساب التوقيت، وهي تحيط بالأرض وتصل بين القطبين وعددها ٣٦٠ خطاً طوليّاً.

وخط الطول الرئيسي هو خط جرينتش ويحمل رقم (صفر) ويقع ١٨٠ خطاً شرق جرينتش و١٨٠ خطاً في غربه، ويسمى خط الطول رقم (١٨٠) خط الزمن الدولي أو خط التاريخ الدولي لأنه يبدأ عنده يوم جديد.

ـ المسافات بين خطوط الطول:

تختلف المسافات بين خطوط الطول وذلك حسب تقاطعها مع دوائر العرض:

ـ على دائرة عرض صفر (خط الاستواء) تكون المسافة بين كل خطي طول متتاليين قرابة ١١١،٣١ كم.

ـ على دائرة عرض (١٠) تكون المسافة بين كل خطي طول متتاليين قرابة ٦٤، ١٠٩ كم.

ـ على دائرة عرض (٢٠) تكون المسافة بين كل خطي طول متتاليين قرابة ٦٥، ١٠٤ كم.

بعض المصطلحات السائدة في العالم

الرأسمالية: هي مصطلح يطلق على المجتمع الرأسمالي الذي يمتلك فيه الأفراد وسائل الإنتاج أو بالعكس تماماً إذ تكون وسائل الإنتاج ملكاً للدولة فقط وهو ما يُعبر عنه بالنظام الاشتراكي.

الليبرالية: هي مذهب سياسي اقترن بالثورة الصناعية وتعني التحررية من القوى الإقطاعية، وكانت تطالب بالدستور الذي يضع حداً للامتيازات والتحكم في المجتمع كما طالبوا بحرية التجارة وعدم تدخل الدولة في الاقتصاد.

الماركسية: نسبة إلى كارل ماركس ولها نفس معنى الاشتراكية والشيوعية، ولها فلسفة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وهي تدعو إلى إقامة مجتمع غير طبقي وتدعو إلى ملكية الدولة لجميع وسائل الإنتاج والسلطة.

الميكافلية: هو مذهب سياسي يتنسب إلى المفكر الإيطالي

ميكافلي، وأبرز مبادىء هذا المذهب أن الغاية تبرر الوسيلة وأنه يجوز ارتكاب أي عمل للوصول إلى الغاية السياسية، ومن مبادئها أيضاً أن المنفعة هي أساس العلاقات ولا اعتبار للقواعد الأخلاقية.

الحدود السياسية: هي الخط الفاصل بين دولة وأخرى، وللدولة مطلق الحرية في ممارسة سلطتها داخل أراضيها المحددة، وقد أصبحت الحدود السياسية تحدد معالم وموقع أي دولة على الخريطة.

الأوتوقراطية: تعني الحكم المطلق، ويطلق هذا الاصطلاح على الحكومات التي يحكمها فرد واحد أو حزب واحد يستبد بالسلطة ويقرر السياسة بمفرده وهي بهذا المعنى كالدكتاتورية.

الدكتاتورية: هي تركيز السلطة المطلقة في يد فرد واحد فهي تقوم على حكم الفرد أو حكم الأقلية المسيطرة على الشعب ويخضع المحكومين لهذه الدكتاتورية بالقوة.

الراديكالية: مصطلح سياسي يعني الإصلاحات الجذرية دون الحاجة إلى التدرج بهدف تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويطلق هذا المصطلح عادة على المتطرفين اليساريين.

البيروقراطية: هي نظرية سياسية تعني تنظيم إداري قائم على السلطة الرسمية وعلى تقسيم العمل وظيفياً بين مستويات تخصصية من أجل رفع مستوى الدقة والانتظام، ولكن هذه البيروقراطية أغفلت الأفراد تماماً.

الديمقراطية: أصل هذه الكلمة يوناني وتعني حكم الشعب، وأن الشعب هو الذي يختار حكومته، والديمقراطية تنص على المساواة والحرية.

الامبريالية: هي سياسة تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى، وهي بهذا المفهوم صورة من صور الاستعمار القديم، ولكنها

في هذا العصر تسيطر على الحياة الاقتصادية عن طريق الاستثمارات والقروض وتقديم المشروعات المشروطة.

الحكومة الملكية أو الدولة الملكية: هي حكومة يتولى فيها الحكم ملك أو ملكة عن طريق الوراثة.

البيريسترويكا: هي مصطلح سياسي حديث يعني إعادة البناء ومواكبة التطور.

الأيديولوجية السياسية: المعتقد السياسي بمعنى أن الأيديولوجية تعطي النظام السياسي كياناً شرعياً، وتسوغ له وسيلة تنظيم القوة وتوزيعها بحيث تصبح أكثر فاعلية.

علم الكرومونولجي: هو علم الجريمة.

علم الكرونولوجيا: هو العلم الذي يعين التواريخ الدقيقة للأحداث ويرتبها وفق تسلسلها الزمني.

الاستغوار: هو علم يهتم باكتشاف الكهوف والمغارات والتنقيب عنها.

علم البيونك: هو علم يتناول الكائنات الحية والظواهر البيولوجية وذلك لإيجاد تطبيقات صناعية لها، والبيونك مصطلح حديث ظهر عام ١٩٦٠م.

علم الأيكولوجيا: هو علم دراسة البيئة وعلاقة الإنسان والمجتمع بهذه البيئة.

التكنوقراطية: هي نخبة الفنيين والمهندسين والاقتصاديين ذوي الخبرة الواسعة.

التيبولوجيا: هي دراسة الأنماط الاجتماعية المختلفة بهدف تحليلها ومقارنتها.

علم الأيثولوجي: هو علم الأخلاق ويقوم على مقارنة الأنظمة الأخلاقية عند الشعوب المختلفة.

الميتافيزيقا: هي فرع من الفلسفة يبحث في ما وراء الطبيعة وتشمل علم الوجود والكون.

الميثولوجيا: هي نظام من الأساطير يحاول المجتمع من خلالها تفسير النظام الكوني وعلاقة الإنسان بالكون والطبيعة.

الأتنولوجيا: هي علم تصنيف الأعراق أو دراسة المجتمعات البدائية وهي جزء من الأنثروبولوجيا.

الأنثروبولوجيا: وهو علم دراسة الإنسان بصفة عامة وتشمل دراسة المجتمعات الإنسانية الحديثة والقديمة.

علم الأكسولوجي: هو علم القيم.

علم الكوسمولوجيا: هو علم الكون ويبحث في أصل وبناء الكون والقوانين العامة.

الفيوتشولوجي: هو علم المستقبل.

علم الأنتولوجي (انطولوجيا): هو علم الوجود ويعني دراسة طبيعة الأشياء وجواهرها وخواصها.

الطبوغرافيا: هو علم الأماكن وتحديد معالمها وأشكالها وبنيتها.

السوسيوغرافيا (السوسيولوجيا): هي الأبحاث الاجتماعية المقتصرة على الوصف فقط.

علم الأيديوجرافيا: هو علم الكتابة بالرموز واستخدامها في شكل تؤدي من خلاله معنى أو فكرة بدلاً من الحروف الصوتية.

البوومونجي: هو علم الحرب.

علم الأرسيولوجي: هو علم الآثار.

ـ المعركة التي أطلق عليها معركة الأمم هي معركة بين نابليون وبين الحلفاء الأوروبيين، وسميت بهذا الاسم لكثرة الدول المشتركة فيها ضد نابليون بونابرت، وقد جرت في ليبزيغ عام ١٨١٣م وقد هزم فيها نابليون ونفي إلى جزيرة إلبا.

ـ المعركة التي سميت معركة الأباطرة الثلاثة: هي معركة أوستر ليتز. وهي أشهر معركة حقق فيها نابليون انتصاراته، وكانت عام ١٨٠٥م بين فرنسا بقيادة نابليون وبين النمسا وروسيا، وسميت بهذا الاسم لأن أباطرة الدول الثلاث اشتركوا في المعركة.

ـ كان المسلمون يطلقون على قائد الأسطول البحري أمير البحر.

ـ حرب الثلاثين سنة: هي حرب أوروبية دينية وقعت في ألمانيا ما بين ١٦١٨م ـ ١٦٤٨م.

ـ جرت الحرب الأهلية الأميركية عام ١٨٦١م وانتهت عام ١٨٦٥م، وقد أعلن بعدها إبراهام لنكون تحرير العبيد، وقد بلغت ضحايا هذه الحرب ٦٠٠ ألف قتيل.

ـ توفي المجاهد الجزائري الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق عام ١٨٨٣ ودفن فيها.

ـ أول قوة بحرية في التاريخ هي قوة بحرية مؤلفة من خمس سفن أنشأتها الملكة الفرعونية حتشبسون عام ١٥٠٠ ق.م.

ـ آسية الصغرى هي شبه جزيرة في غرب آسيا على البحر الأبيض المتوسط وبحر مرمرة وبحر إيجه ويطلق اللفظ على تركيا.

ـ أكبر ولاية أمريكية مساحة وأقلها سكاناً هي ولاية ألاسكا مساحتها ١،١٥٨،٨٠٠كم٢ وسكانها ٤٠٥ آلاف نسمة.

- النهر الذي يخترق وسط باريس هو نهر السين.

- أكبر خانق نهري في العالم هو خانق جراند كانيون في أيريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية وطوله ٣٤٩كلم وعرضه من ٦إلى ٢٠ كلم وعمقه ٢١٣٣ متراً.

- أكبر دلتا في العالم هي دلتا نهر الكنج - براهما في الهند ومساحتها ٧٥ ألف كم٢.

- توجد أعلى صخرة بحرية في العالم في جزيرة ملوكي في هاواي وترتفع ١٠٠٥متراً.

- سجلت أقصى سرعة للرياح في العالم في عام ١٩٣٤م، هبت ريح شديدة على مونت واشنطن - نيوهامشي في الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغت سرعتها ٣٧١ كيلومتر في الساعة.

- أعرض نهر في العالم هو نهر الأمازون ويقدر عرضه بنحو ٣٠ كم عند مصبه.

- أقرب نجم إلى الأرض هو الشمس وتبعد ١٥٠ مليون كم، أما أقرب كوكب فهو كوكب الزهرة (٤١ مليون كلم).

- إكليل الشمس: هو غلاف مضيء يشاهد عند الكسوف الكلي للشمس.

- تضم بريطانيا العظمى ٥٠٠٠ جزيرة واقعة في محيطها، إضافة إلى عدد كبير من الجزر المتناثرة في بحار ومحيطات العالم والقارة القطبية مثل جزيرة سانت هيلانه وبرمودا وجبل طارق.

- تبدأ المنطقة اللجّية في البحار من عمق ٥٠٠ متراً حتى أعماق المحيطات (٥٠٠٠ متر إلى ٦٠٠٠ متر).

- يطلق اسم مملكة الظلمات على أعماق الفجوات المائية السحيقة

في المحيطات والتي تصل إلى ١١ ألف متر.

ـ أغزر نهر في العالم من حيث كمية المياه هو نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية إذ يصب ١٤ ألف متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة.

ـ أطول قناة صناعية في العالم هي قناة السويس وطولها ١٦١ كلم.

ـ **الكانوجرافي**: هو علم المحيطات.

ـ يمر خط الاستواء في دولة عربية وهي الصومال ـ في أقصى الجنوب ـ.

ـ تحتل نسبة اليابسة من مساحة الكرة الأرضية ٢١٪ أي ما يقارب ١٤٩ مليون كم٢.

ـ إن أقصى بعد تصل إليه المراصد الفلكية والتلسكوبات الضخمة تصل إلى مدى ١٢ ألف مليون سنة ضوئية.

ـ التوقيت الصيفي يقضي بتقديم الساعة ٦٠ دقيقة (ساعة واحدة) وقد ابتكره الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين، واستخدم في أمريكا عام ١٩١٩م، وقد استخدم في الحرب العالمية الثانية.

ـ يتساوى طول الليل والنهار عند خط الاستواء.

ـ أطول قناة في العالم هي قناة ستالين التي تصل بين بحر البلطيق وبحر بارنتس وطولها ١٤١ ميلاً. (حوالي ٢٢٦ كلم).

ـ أكبر ميناء في العالم هو ميناء مدينة نيويورك في أمريكا.

ـ أسرع الكواكب دوراناً حول الشمس هو عطارد.

ـ مكتشف رأس الرجاء الصالح هو الرحالة البرتغالي فاسكودي غاما.

ـ عدد المجرات التي رصدها العلماء إلى الآن حوالي ١٠٠ ألف

مليون مجرة وكل مجرة تحوي من ١٠٠ إلى ٢٥٠ ألف نجم.

ـ يطلق اسم القرن الإفريقي على الصومال وكينيا وأثيوبيا وجيبوتي.

ـ يكون الوقت متقدماً في الأماكن الواقعة شرق خط جرينش عن الأماكن الواقعة في غربه، لأن الشمس تدور من الغرب إلى الشرق (عكس عقارب الساعة) فتشرق الشمس على الأماكن الواقعة شرق جرينتش قبل الأماكن الواقعة في غربه.

ـ **وقت الزوال**: هو الوقت الذي تكون فيه الشمس فوق رأس الإنسان أي عندما يزول ظل الأشياء.

ـ نستطيع تحديد موقع أي مكان على الأرض، إذا عرفنا مقدار خط طوله ودرجة عرضه.

أكبر مدن العالم من حيث السكان

١ـ مكسيكوستي (عاصمة المكسيك) عدد سكانها ٢٠،٧٥٠،٠٠٠ نسمة.

٢ـ طوكيو (عاصمة اليابان) عدد سكانها ١٣ مليون نسمة.

٣ـ القاهرة (عاصمة مصر) عدد سكانها ١٢،٨٥٠،٠٠٠ نسمة.

٤ـ ساوباولو (في البرازيل) عدد سكانها ١٢ مليون ونصف المليون نسمة.

٥ـ كلكتا (في الهند) عدد سكانها ١٠ مليون نسمة.

٦ـ سيول (عاصمة كوريا الجنوبية) عدد سكانها ٩،٨٠٠،٠٠٠ نسمة.

٧ـ بوينس أيرس (عاصمة الأرجنتين) عدد سكانها ٩ مليون نسمة.

٨ـ موسكو (عاصمة روسيا) عدد سكانها ٨،٨٠٠،٠٠٠ نسمة.

٩ـبومباي (في الهند) عدد سكانها ثمانية ونصف مليون نسمة .

١٠ـ نيويورك (في الولايات المتحدة الأمريكية) عدد سكانها ٨،٣٥٠،٠٠٠ نسمة .

١١ـشنغهاي (في الصين) عدد سكانها ٨،١٠٠،٠٠٠ نسمة .

١٢ـلندن (عاصمة بريطانيا) عدد سكانها ٨ مليون نسمة .

١٣ـجاكرتا (عاصمة أندونيسيا) عدد سكانها ٧،٩٠٠،٠٠٠ نسمة .

١٤ـ دلهي (عاصمة الهند) عدد السكان ٦،٧٥٠،٠٠٠ نسمة .

وفي الختام :

ليس بوسعي إلا أن أقول : كل الفضائل دونت ولم يبق إلاتطبيقها . أسأل الله تعالى أن نكون قد وُفقّنا في تقديم مافيه خير للمسلمين في دينهم ودنياهم وآخرتهم إن شاء الله .

والله ولي التوفيق .

الفهرس